رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

د. عبدالله بن سليمان المشوخي

الحوار وآدابه في الإسلام

العبيكان
Obeikan

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
عمادة البحث العلمي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحوار وآدابه في الإسلام

تأليف

د. عبدالله بن سليمان المشوخي

العبيكان
Obeikan

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
عمادة البحث العلمي

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المشوخي، عبدالله سليمان
الحوار وآدابه في الإسلام./ عبدالله سليمان المشوخي. - الرياض، ١٤٢٩هـ
١٣٦ص؛ ١٦,٥ × ٢٤سم
ردمك: ٥-٥٨٧-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨
١- الدعوة الإسلامية ٢- الجدل
أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٩/٦٤٣٢

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦٤٣٢

صدر هذا الكتاب بدعم من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ضمن اتفاقية نشر خاصة بين شركة العبيكان للأبحاث والتطوير وعمادة البحث العلمي في الجامعة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

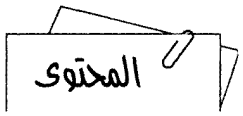

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٧
١ــ معنى الحوار والفرق بينه وبين الجدال والمناظرة	١١
٢ــ أهمية الحوار وأهدافه	١٣
الباب الأول: (الحوار من خلال المنظور الإسلامي)	١٩
الفصل الأول: الحوار في القرآن	٢١
الفصل الثاني: الحوار في السنة	٢٧
الفصل الثالث: نماذج من حوار السلف	٣٥
الباب الثاني: (فقه الحوار)	٣٩
الفصل الأول: الإقرار بوجود الخلاف	٤١
موقف المسلم من الخلاف	٤٤
الفصل الثاني: اختلاف الحوار باختلاف الأشخاص	٤٧
الفصل الثالث: تحرير محل الاتفاق ومحل النزاع	٥١
الباب الثالث: (فقه الموازنات في الحوار)	٥٥
الفصل الأول: التفريق بين القطعيات والظنيات	٥٧
الفصل الثاني: التفريق بين الرأي وصاحب الرأي	٦٣
الفصل الثالث: التفريق بين نقل الرأي وتبني الرأي	٦٧
الباب الرابع: (آداب الحوار في الإسلام وصفات المحاور)	٧١
الفصل الأول: (آداب الحوار في الإسلام) وفيه مباحث عدة	٧٣

المبحث الأول: تهيئة الظروف المناسبة. ٧٣
المبحث الثاني: البدء بنقاط الاتفاق والتدرج في النقاش. ٧٦
المبحث الثالث: حسن الاستماع وعدم المقاطعة. ٧٨
المبحث الرابع: إعطاء كل قضية حقها في النقاش. ٨١
المبحث الخامس: عدم اتهام النيات. ٨٣
المبحث السادس: إفساح المجال للمقابل. ٨٥
المبحث السابع: الالتزام بالمصطلحات الشرعية. ٨٧
المبحث الثامن: ترتيب الأفكار وحسن العرض. ٨٩
الفصل الثاني: (صفات المحاور) ويشمل بحوثاً عدة ٩٥
المبحث الأول: التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس ٩٥
المبحث الثاني: البعد عن التعصب وعدم مقابلة الباطل بالباطل..... ٩٩
المبحث الثالث: البعد عن المبالغات والتهويل. ١٠٢
المبحث الرابع: ضبط النفس والهدوء والصبر والتواضع. ١٠٦
المبحث الخامس: الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ..... ١١٠
المبحث السادس: البعد عن التحدي والإفحام. ١١٣
المبحث السابع: عدم رفع الصوت. ١١٥
المبحث الثامن: الرفق بالمقابل. ١١٨
المبحث التاسع: العزة والثبات على الحق. ١٢١
المبحث العاشر: البعد عن ضمير المتكلم وعدم الاستطراد ١٢٣

الخاتمة ١٢٧

ثبت المراجع ١٣١

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تمهيد

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم آياته ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٢]، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن للحوار في الإسلام آداباً يجب مراعاتها والاهتمام بها، ذلك أن الحوار من أهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل. وبقدر ما يتمكن المرء من إتقان فن الحوار والتخلق بآدابه والتمسك بأصوله وقواعده بقدر ما يحقق النجاح في تبليغ فكرته للآخرين.

فالمحاور الناجح هو الذي يكسب قلوب الآخرين، وهو الذي يستطيع تبليغ دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو الذي يستطيع أن يقرب بين وجهات النظر المتباينة ويخفف من وطأة الخلاف.

كما يستطيع المحاور الناجح -لاسيما مع غير المسلمين- أن يكشف الغموض ويزيل الشبهات حول حقائق الإسلام ومحاسنه، وأن يرد الشبهات التي يثيرها الأعداء حول الإسلام.

لهذا ينبغي على الدعاة إلى الله ان يهتموا بهذا العلم، وأن يدرسوه دراسة وافية شاملة كي يبلغوا دعوة الله للآخرين بحكمة ورفق ولين امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة / الآية ٨٣.

(٢) صحيح البخاري / ج٤ / ص١٩٠٣.

(٣) سورة النحل / الآية ١٢٥.

(٤) سورة الحج / الآية ٢٤.

فالكلمة الطيبة هي المقدمة الأولى لكسب القلوب وتآلفها، وهي كالشجرة الطيبة جذورها ثابتة راسخة مستقرة لا تزعزعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل، وفرعها في عنان السماء سامقة مثمرة لا ينقطع لها ثمر.

ويضاف إلى ما سبق أننا نعيش في عصر اتسم بسرعة الاتصال عبر وسائل الإعلام المختلفة، والمسلم مكلف بتبليغ دعوة الله للآخرين، فإذا ما أتقنّا أسلوب الحوار وكيفية مخاطبة الآخرين بأسلوب يناسبهم، فإننا نستطيع أن نبلغ دعوة الله للآخرين وننقذهم من الظلمات إلى النور.

ولكي نصل إلى هذا الأدب الرفيع من الحوار كان لزاماً علينا الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لنستفيد من أساليب الحوار المتعددة والموجودة في هذين المصدرين ونستنبط منهما القواعد والأصول، فخير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1].

كما أن حوار الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والأئمة الأعلام وأقوال العلماء في آداب المناظرة يعطينا تصوراً شاملاً لأفضل أساليب الحوار، وهذا ما حاولت أن أقوم به في هذا البحث الذي تم تقسيمه على النحو الآتي:

المقدمة وتشمل:

١ ـ معنى الحوار والفرق بينه وبين الجدال والمناظرة.

٢ ـ أهمية الحوار وأهدافه.

الباب الأول: (الحوار من خلال المنظور الإسلامي) ويشمل:

الفصل الأول: الحوار في القرآن.

الفصل الثاني: الحوار في السنة.

الفصل الثالث: نماذج من حوار السلف.

الباب الثاني: فقه الحوار ويشمل:

---

(١) سورة الإسراء / الآية ٩.

الفصل الأول: الإقرار بوجود الخلاف.

الفصل الثاني: اختلاف الحوار باختلاف الأشخاص.

الفصل الثالث: تحرير محل الاتفاق ومحل النزاع.

الباب الثالث: فقه الموازنات في الحوار ويشمل:

الفصل الأول: التفريق بين القطعيات والظنيات.

الفصل الثاني: التفريق بين الرأي وصاحب الرأي.

الفصل الثالث: التفريق بين نقل الرأي وتبني الرأي.

الباب الرابع: (آداب الحوار في الإسلام وصفات المحاور) ويشمل:

الفصل الأول: (آداب الحوار في الإسلام) وفيه مباحث:

المبحث الأول: تهيئة الظروف المناسبة.

المبحث الثاني: البدء بنقاط الاتفاق والتدرج في النقاش.

المبحث الثالث: حسن الاستماع وعدم المقاطعة.

المبحث الرابع: إعطاء كل قضية حقها في النقاش.

المبحث الخامس: عدم اتهام النيات.

المبحث السادس: إفساح المجال للمقابل.

المبحث السابع: الالتزام بالمصطلحات الشرعية.

المبحث الثامن: ترتيب الأفكار وحسن العرض.

الفصل الثاني: (صفات المحاور) ويشمل المباحث الآتية:

المبحث الأول: التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس.

المبحث الثاني: البعد عن التعصب وعدم مقابلة الباطل بالباطل.

المبحث الثالث: البعد عن التهويل والمبالغات.

المبحث الرابع: ضبط النفس والهدوء والصبر والتواضع.

المبحث الخامس: الرجوع للحق والتسليم بالخطأ.

المبحث السادس: البعد عن التحدي والإفحام.

المبحث السابع: عدم رفع الصوت.

المبحث الثامن: الرفق بالمقابل.

المبحث التاسع: العزة والثبات على الحق.

المبحث العاشر: البعد عن ضمير المتكلم وعدم الاستطراد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

وقبل الختام أود القول أن هناك بعض المؤلفات تناولت موضوع الحوار أفدت منها جميعاً، ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع أنني وجدت بعض هذه المؤلفات كتبت بإيجاز شديد أو باستطراد طويل، ومن الكتب ما تناول موضوعاً معيناً للحوار وأهمل جوانب أخرى كالتركيز على الحوار في القرآن أو السنة، أو الحوار مع أهل الكتاب، أو الحوار من الجانب النفسي ... وهكذا.

وحاولت من خلال هذا البحث أن أجمع الموضوع من أطرافه المتعددة، ليتمكن القارئ من الإلمام به، وأن أوثق البحث من مصادر أصيلة، وأنقل أقوال السلف والأئمة الأعلام فيما يتعلق بالحوار وآدابه، كما أضفت بعض الجوانب التي لها علاقة بالحوار كفقه الحوار وفقه الموازنات في الحوار.

هذا وقد تم دعم هذا المشروع من قبل جامعة الملك فهد للبترول والمعادن تحت مشروع تأليف كتاب رقم ١٤٢٧ ـ ٠٥ ـ ARA ـ ت ك ع ١٤٢٧ ـ ٠٥.

وأخيراً فقد بذلت ما في وسعي في هذا البحث، فما أصبت فيه فذلك فضل من الله وكرمه، وما كان من خطأ أو زلل فمن نفسي ومن الشيطان. وأسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وأن يثبتنا على الحق والصواب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبدالله بن سليمان المشوخي

١ ـ معنى الحوار والفرق بينه وبين الجدال والمناظرة

قبل الحديث عن أهمية الحوار وأهدافه، لابد من تعريفه وبيان الفرق بينه وبين الجدال والمناظرة.

الحوار في اللغة أصله من الحور، وهو كما يقول (ابن منظور): «الرجوع عن الشيء وإلى الشيء»[١].

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، ونقول: كلّمته فما أحار إليّ جواباً.. أي ما ردَّ جواباً واستحاره أي استنطقه. وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[٢].

والحوار اصطلاحاً: هو مراجعة الكلام بين طرفين والأخذ والرّد فيه. قال الزمخشري رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾[٣]. أي (يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع)[٤].

وقيل في معنى الحوار: «هو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة»[٥].

أما الجدال، فهو مأخوذ من الجدل، ومعناه في اللغة «شدة الفتل وجدلت الحبل أجدله جدلاً إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً، ومنه قيل لزمام الناقة الجديل»[٦].

وقال صاحب القاموس المحيط: الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها[٧]. ورجل جدل ومجدال: شديد الجدل، ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة[٨].

---

(١) لسان العرب / ابن منظور / مادة حور / ج١ / ص٧٥٠.
(٢) المصدر السابق / ج١ / ص٧٥١.
(٣) سورة الكهف / الآية ٣٤.
(٤) الكشاف / الزمخشري / ج٢ / ص٤٨٤.
(٥) في أصول الحوار / الندوة العالمية للشباب الإسلامي / ص١٢.
(٦) لسان العرب / ابن منظور / مادة جدل / ج١ / ص٤١٩.
(٧) القاموس المحيط / فيروز آبادي / ص١٢٦١.
(٨) لسان العرب / ج١ / ص٤٢٠.

والجدل في الاصطلاح -كما يقول الجرجاني-: «دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة»[١].

وعند بعضهم المجادلة هي: «المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم»[٢]. أما المناظرة، فهي من النظر، تقول نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب، والعرب تقول: دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان أي هي بإزائها ومقابلة لها. وتقول: دورنا تناظر أي تقابل، والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه[٣].

وقال الجرجاني -رحمه الله-: «المناظرة لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحاً هي النظر بالبصيرة من الجانبين، في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب»[٤].

والمتأمل في مدلول المصطلحات الثلاثة (الحوار والجدال والمناظرة) يلاحظ أن هناك تقارباً بين الحوار والمناظرة إذ إن بينهما قاسماً مشتركاً هو نشدان الحق.

غير أن المناظرة أدل على النظر والتفكر، بينما الحوار أدل على الكلام ومراجعته[٥]. أما المجادلة فهي تختلف عن الحوار والمناظرة، فهي منازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا[٦]. ومنهم من يرى «أن الجدل يراد منه إلزام الخصم ومغالبته».

أما المناظرة: فهي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق.

والمحاورة: هي المراجعة في الكلام ومنه التحاور أي التجاوب وهي ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه»[٧].

---

(١) كتاب التعريفات / الجرجاني / ص٧٤.
(٢) آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي / ج٢ / ص٨٩.
(٣) لسان العرب / مادة نظر / ج٣ / ص٦١٤ - ٦١٥.
(٤) التعريفات / الجرجاني / ص٢٣١ - ٢٣٢.
(٥) الحوار / مع أهل الكتاب / خالد القاسم / ص١٠٨.
(٦) الكليات / أبو البقاء / ج٤ / ص٢٦٣.
(٧) مناهج الجدل في القرآن / د. زاهر الألمعي / ص٣٠.

والمتأمل في أقوال العلماء يخرج بفارق بين الحوار والجدال والمناظرة، ذلك أن المحاورة مجرد مراجعة الكلام بين المتحاورين ولا تلزم فيه الخصومة، ولا يراد به الاتجاه نحو الخصومة، وهو من الأدب الرفيع ويغلب عليه الهدوء والبعد عن التعصب مما يتيح فرصة الإقناع والاقتناع واستفادة كل واحد من الآخر. بخلاف الجدال فهو ينحى منحى الخصومة، أو يهدف إلى التمسك بالرأي والتعصب له.

أما المناظرة فهي منزلة بين الحوار والجدال، لأن كل واحد من المتناظرين يقصد تصحيح قوله وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في إظهار الحق.

٢ ـ أهمية الحوار وأهدافه

اقتضت حكمة الله -سبحانه وتعالى- تكليف الناس بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[١].

ولكي تتحقق العبودية لله سبحانه وتعالى، كان من لطف الله ورحمته بعباده أنه لم يكل الإنسان لنفسه بل أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل تحقيق الوحدانية لله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[٣]. فكانت مهمة الرسل عليهم السلام البلاغ المبين، وهذا التبليغ يحتاج إلى بيان وإقناع كي يؤمن الناس بدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لاسيما أنهم جاؤوا بدين يخالف ما هم عليه من معتقدات باطلة فاسدة. وهذا الأمر يستلزم حواراً دائماً ومتواصلاً بين الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وبين أقوامهم.

ولكي يتحقق هذا الهدف نجد أن كل رسول أرسل بلسان قومه ليبين لهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٤].

---

(١) سورة الذاريات / الآية ٥٦.
(٢) سورة النحل / الآية ٣٦.
(٣) سورة البقرة / الآية ٢١٣.
(٤) سورة إبراهيم / الآية ٤.

قال ابن كثير -رحمه الله- هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم(١).

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه)(٢).

ولأهمية البيان في الدعوة إلى الله وقوة الحجة، نجد أن نبي الله موسى عليه السلام يطلب من الله -سبحانه وتعالى- أن يحلل عقدة لسانه كي يفقهوا قوله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾(٣).

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: (سأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة، والمراجعة والبيان عن المعاني)(٤). كما طلب الاستعانة بأخيه هارون عليه السلام، لما يتميز به من فصاحة اللسان، كي يقيم الحجة على فرعون وملئه قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾(٥). ففصاحة اللسان وقوة البيان من مستلزمات نجاح الدعوة إلى الله وإقامة الحجة على المدعوين.

لذلك بعث نبينا محمد ﷺ بجوامع الكلم، عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: (بعثت بجوامع الكلم... الحديث)(٦).

قال النووي -رحمه الله-: (قال الهروى: يعنى به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني)(٧).

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاؤوا بالكلمة الطيبة والحوار على أكمل وجه من أجل تبليغ دعوة الله، كذلك شأن أتباع الرسل، سلاحهم الكلمة يؤدونها بحكمة ورفق ولين، وبقدر ما يكون الداعية متمكناً من الحوار وملماً بآدابه وأساليبه وقواعده بقدر ما يكون نجاحه في تحقيق هدفه، لذلك ينبغي على كل داعية إلى الله أن يتعلم آداب الحوار ومبادئه وقواعده كي يتمكن من تبليغ دعوته على أكمل وجه.

---

(١) تفسير ابن كثير / ج٢ / ص٥٢٢.
(٢) مسند الإمام أحمد / ج٥ / ص١٥٨.
(٣) سورة طه / الآيات ٢٥ - ٢٨.
(٤) تيسير الكريم الرحمن / السعدي / ج٥ / ص١٥٣.
(٥) سورة القصص / الآية ٣٤.
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي / ج٥ / ص٥.
(٧) المصدر السابق / ج٥ / ص٥.

فكم من ضال اهتدى، وكم من عاص تاب وأقلع عن المعصية، وكم من مشكلة انتهت ونزع فتيلها بسبب حسن الحوار، وكم من ألفة ومودة وأخوة تحققت وحلت محل العداوة والبغضاء بسبب حكمة الحوار.

وكم من شبهة زالت، وكم من معتقدات فاسدة تلاشت، وكم من أخلاق فاضلة حلت محل الأخلاق الرديئة نتيجة للحوار الناجح.

فالحوار من أهم الوسائل في الدعوة إلى الله وإقناع الآخرين كما أنه من أهم الوسائل في درء المفاسد والمشكلات وجلب المصالح وتأليف القلوب. لذلك لا غرابة أن نجد العناية الشديدة به في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث وردت نماذج كثيرة ومتعددة في هذا الصدد بالإضافة إلى كثرة حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

فكل دعوة تحتاج إلى حجج قاطعة وبراهين شتى، وهذا وحده لا يكفي ما لم تصاحبه قوة البيان وحسن العرض من أجل إقناع الآخرين.

ولما كان الإنسان يتصرف في ضوء ما يعتقد، وجبت العناية بالأداة الأولى في سبيل تغيير المعتقدات الفاسدة وترسيخ المعتقد الصحيح ألا وهي المحاورة والإقناع، ومتى اقتنع الإنسان بعقله واطمأن بقلبه انعكس ذلك على جوارحه وتصرفاته. ومن هنا كان لابد لكل داعية إلى الله أن يتعلم كيفية الحوار وآدابه وقواعده حتى يستطيع أن يبلغ دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

يضاف إلى ما سبق أن الحوار المنهجي مفيد في تدريب المحاور نفسه «إذ إنه يرتقي بطريقته في التفكير وفي الأداء ويعلمه ضبط نفسه ولسانه، ويقوّي لديه ملكة المحاكمة والتفكير المتزن، مما يجعله مقبولاً من الآخرين بدرجة كبيرة، ويجعل احتمال اقتناعهم بأفكاره أكبر أيضاً»[2].

---

(١) سورة النحل / الآية ١٢٥.

(٢) في أصول الحوار / الندوة العالمية للشباب الإسلامي / ص٧.

أهداف الحوار

لابد لكل حوار من هدف، إذ إن معرفة الهدف تحدد مدى نجاح الحوار كما تعين على معرفة الغاية منه، وعلى ضوئه يستطيع المحاور الاستمرار في الحوار أو التوقف عنه في ضوء المواقف التي يمر بها مع الطرف الآخر. ويمكن تلخيص أهم أهداف الحوار في الأمور الآتية:

١- دعوة الآخرين إلى الحق لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]. ولقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٢].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب)[٣]. فالحوار الهادئ الحكيم أيسر السبل إلى قلوب الناس وإقناعهم.

٢- الإعذار إلى الله سبحانه وتعالى، فقد يصيب المحاور إحساس بعدم جدوى الحوار مع المكابرين المعاندين، لكنه يقوم بتبليغ أمر الله ويحاور امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[٤].

يقول صاحب الظلال -رحمه الله-: (فهو واجب لله نؤديه، واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتخويف من انتهاك الحرمات، لنبلغ إلى الله عذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى)[٥].

٣- نزع الخلاف وتقريب وجهات النظر، فإن الخلاف يؤدي إلى التباغض والتناحر، ولكن حين يتبنى المختلفون مبدأ الحوار والتفاهم، فإن ذلك يقلل من هوة الخلاف

---

(١) سورة يوسف / الآية ١٠٨.

(٢) سورة النحل / الآية ١٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير / ج٢ / ص٥٩١.

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٦٤.

(٥) في ظلال القرآن / ج٣ / ص ١٣٨٤ - ١٣٨٥.

وينـزع ما في الصـدور من غل، فتقترب بذلك وجهات النظـر، ويقوى داعي المودة بين المتحاورين.

إن الأمة الإسـلامية إذا ما قوي التحاور بين أفرادها فإنه يؤدي إلى تقويم مسـيرة العمل الإسلامي وتصحيح الأخطاء، كما يؤدي إلى ترويض النفوس على قبول النقد البنّاء.

والحوار أيضـاً يعين على نقاء الصـدور، وصـفاء النفوس مما علق بها من شوائب بسبب الاختـلاف. والنفوس متى تعـودت على أدب الحـوار وتقبل النقد البنّـاء واحترام الرأي المخالف والرجوع إلى الحق، فإن كل هذه الأمور تؤدي إلى نجاح وحدة العمل الإسلامي.

٤- إظهـار الحق وإبطال الباطل، وإقامة الحجـة على الآخرين، وذلك أن محاورة أعداء الإسلام تكشف بصورة جلية محاسن الإسلام وفضائله كذلك تدحض الشبهات التي تثار حوله بهدف تشويهه والنيل منه.

يضاف إلى ما سبق فإن حوار أعداء الإسلام يكشف باطلهم وما هم عليه من فساد، والمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يلاحظ كثرة الحوار مع الكفار وأنهم ليسوا على شـيء، وأن ما يزعمون أنه حق ما هو إلا باطل أو دعوى بلا دليل أو مجرد تقليد للذين سبقوهم بالباطل... إلى غير ذلك.

٥ ـ ومن أهـداف الحوار مع أعداء الإسـلام بيان عزة الإسـلام وقوته، وتثبيت المؤمنين، فإن بيان قوة الإسلام ومحاسنه ودحض حجج الكفار وبيان انحرافهم يزيد المؤمنين إيماناً ويقيناً وعزة بدينهم ويؤدي إلى خذلان أعداء الله وضـعفهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[١].

قـال ابن كثير -رحمه الله-: (أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم في الأمر نفسه)[٢].

---

(١) سورة الفرقان / الآية ٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير / ج٣ / ص٣١٧ - ٣١٨.

الباب الأول

الحوار من خلال المنظور الإسلامي

الفصل الأول

الحوار في القرآن

اهتم القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالحوار، وضرب لنا نماذج متعددة ومتنوعة، كالحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته حول خلق آدم عليه السلام[1]. والحوار الذي تم بين بلقيس -ملكة سبأ- وقومها حول فحوى خطاب سليمان عليه السلام[2].

كذلك الحوار الذي تم بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حين أراد أن يذبحه تنفيذاً لأمر الله[3].

كما نجد أن القرآن الكريم حفل بحوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، كحوار نوح ولوط وصالح وهود وشعيب وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكثرة الحوار في القرآن الكريم تدل على أهميته الشديدة في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل وجلاء الحقائق.

والمتأمل في الحوار بالقرآن الكريم يلاحظ أنه يتسم بأمور عدة من أهمها[4]:

---

(١) انظر سورة البقرة / الآيات ٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر سورة النمل / الآيات ٢٨ وما بعدها.

(٣) انظر سورة الصافات / الآيات ١٠٢ وما بعدها.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر / أسلوب المحاورة في القرآن الكريم / د. حفني ص٢٨ وما بعدها.

١ ـ تقديم الأدلة والبراهين من أجل إقناع الطرف الآخر

فالمتتبع للحوار في القرآن الكريم يلاحظ كثرة تقديم الأدلة والبراهين والحجج من أجل إقناع الطرف الآخر وإزالة الشبه والملابسات في سبيل الوصول إلى الحق. فهذا نبي الله صالح عليه السلام يقدم دليلاً لقومه على صدق دعواه، بخروج ناقة من صخرة صماء عيّنوها بأنفسهم قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به)[2].

كذلك يطالب القرآن الكريم من الطرف الآخر تقديم الأدلة والبراهين لإثبات صحة دعواه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[3].

٢ ـ إن الحوار في القرآن الكريم يتسم بالتنوع ويشمل جميع أوجه الحياة

فأحياناً يتناول الحوار ترسيخ معاني العقيدة والوحدانية لله سبحانه وتعالى كمحاورة نوح عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾[4]. وتارة يتناول الحوار أموراً اقتصادية كمحاورة شعيب عليه السلام لقومه قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف / آية ٧٣.

(٢) تفسير ابن كثير / ج٢ / ص٢٢٨.

(٣) سورة البقرة / آية ١١١.

(٤) سورة هود / الآيتان ٢٥ - ٢٦.

(٥) سورة هود / الآيتان ٨٤ - ٨٥.

وتارة يتناول أموراً اجتماعية وأخلاقية، كمحاورة لوط عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾[1].

وتارة يتناول أموراً تربوية تعليمية، كمحاورة موسى عليه السلام للعبد الصالح قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾[2]. وهكذا يتسم الحوار في القرآن الكريم بالتنوع والشمول.

٣ ـ البعد عن المماراة والمشاحنة والتعصب والمغالطات

فهو حوار يهدف إلى الوصول للحق، كما أنه يتّسم بالتجرد وعدم التعصب لوجهة النظر مسبقاً، والإعلان عن الاستعداد التام للوصول إلى الحقيقة، ومثال ذلك: محاورة الرسول عليه الصلاة والسلام للمشركين، حيث قال ﷺ في محاورته لهم - كما جاء في سورة سبأ -: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[3].

وفي هذا دلالة عظيمة على نشدان الحقيقة أنّى كانت، والبعد عن التعصب والتجرد التام من أجل الوصول إلى الحق.

٤- إنصاف الخصم

من السمات الواضحة في محاورة القرآن الكريم: (المحافظة على حق الخصم وإنصافه من كل وجه، سواء أكان المحاور الذي يمثله القرآن شخصاً مؤمناً عادياً أم كان شخصَ نبيٍّ من الأنبياء)[4] ويتجسد هذا الإنصاف في الأمور الآتية:

أ- احترام الطرف الآخر: فمهما بلغ الخصم من الضعف في رأيه والخطأ في محاورته نجد أن القرآن الكريم يحاوره دون أذى أو تسفيه أو تحقير أو نحو ذلك، مما يفسد القلوب ويهيج النفوس ويورث الحقد. ومثال ذلك محاورة من أنكر البعث

---

(١) سورة هود / الآية ٧٨.

(٢) سورة الكهف / الآيات ٦٥ - ٧٠.

(٣) سورة سبأ / الآية ٢٤.

(٤) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم / د. حفني / ص٣١.

وقدرة الله في إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

فالمتأمل في الرد على المنكرين للبعث يلاحظ ورود أدلة متعددة تبرهن على قدرة الله التامة على إحياء الموتى وإحياء العظام وهي رميم، دون تسفيه آراء المنكرين أو شتمهم أو الانتقاص منهم.

ب- إعلان المساواة للخصم: «وهي درجة أعلى من حماية الخصم أو عدم إيذائه، حيث نلمس في محاورات القرآن إشعار الخصم بمساواته مع محاوره أثناء المحاورة، وهذا يعدّ قمة العدالة حيث يشعر الخصم أنه مساوٍ لخصمه»[2].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

قال ابن كثير -رحمه الله- في قوله تعالى: (سواء بيننا وبينكم، أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها)[4]. فهي دعوة إلى أمر لا يتميز فيه أحد على الآخر في شيء وهذا قمة المساواة والإنصاف للخصم.

٥- تحديد الهدف والغاية

يهتم القرآن الكريم بإبراز الهدف والغاية من الحوار، فالحوار دون هدف واضح يؤدي إلى الجدل العقيم وتضييع الوقت، لذلك نجد أن السمة العامة للحوار في القرآن الكريم هي التدرج للوصول إلى أهداف وغايات محددة. ومثال ذلك محاورة إبراهيم عليه السلام للمشركين في عبادتهم للكواكب قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا

---

(١) سورة يس / الآيات ٧٨ - ٨١.

(٢) أسلوب المحاورة في القرآن / د. حفني / ص٣٣.

(٣) سورة آل عمران / الآية ٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير / ج١ / ص٣٧١.

قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (١).

فقد بين عليه السلام أن هذه الكواكب والقمر والشمس لا تصلح إلهاً فهي مخلوقات مسخرة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ثم أعلن براءته من عبادتهم لها، ثم بين لهم أن المستحق للعبادة هو الله الذي خلق السماوات والأرض مدبر الكون الذي بيده ملكوت كل شيء.

وهكذا نجد أن إبراهيم عليه السلام حدد الهدف والغاية من الحوار وهو الوصول إلى الإله المستحق للعبادة وإبطال عبادة غير الله.

٦- طلب الحق

المتتبع للحوار في القرآن الكريم -لاسيما بين الأنبياء وأقوامهم- يلاحظ أنه لا يتطلع إلى تحقيق هدف شخصي أو مصلحة ذاتية أو غير ذلك من الغايات التي تقع بين الناس. إنما الهدف الأساس هو الوصول إلى الحق، وأولى الحقوق هو وحدانية الله سبحانه وتعالى وتحقيق مصالح العباد في الدارين الدنيا والآخرة.

لذا نجد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوضحون لأقوامهم أثناء محاورتهم أن لا منفعة شخصية ستعود عليهم، بل هدفهم هو تحقيق مصالح أقوامهم في الدنيا والآخرة، فهذا نبي الله هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ (٢).

كذلك نبي الله صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنعام / الآيات ٧٥ - ٧٩.

(٢) سورة الشعراء / الآيتان ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) سورة الشعراء / الآيات / ١٤١ - ١٤٥.

٧ ـ مراعاة أحوال المخاطبين

يتسم الحوار في القرآن الكريم بمراعاة أحوال المخاطبين، ومعاملة الخصم بما يتناسب مع أحواله الفكرية والاعتقادية، فمحاورة المشركين -فيما يتعلق بالبعث والنشور واليوم الآخر وإحياء الموتى وبيان قدرة الله- تختلف عن محاورة أهل الكتاب، إذ إن أهل الكتاب لا ينقصهم العلم والحجج والبراهين بخلاف المشركين الذين يحتاجون إلى أدلة وبراهين وحجج. كذلك محاورة المنافقين تتسم بالشدة والغلظة عليهم، لأنهم لا ينقصهم معرفة الحق ولا يخفى عليهم دلائل الهدى وإنما ينقصهم الالتزام بالإيمان والعمل به.

والمتأمل في أوائل سورة البقرة يلاحظ أن خطاب المنافقين اتسم بالغلظة والشدة، بخلاف دعوة الناس إلى عبادة الله فإنها اتسمت بذكر الأدلة والبراهين على استحقاق الله للعبادة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

(١) سورة البقرة / الآيتان ٢١ - ٢٢.

الفصل الثاني

الحوار في السنة

المتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد نماذج كثيرة ومتنوعة للحوار، والسمة الغالبة على حواره ﷺ الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وتحقيق العبودية لله رب العالمين.

وتذكر كتب السنة أن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1]، صعد عليه الصلاة والسلام إلى الصفا وهتف يا صباحاه، فلما اجتمعوا إليه قال لهم ﷺ: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[2].

بعد ذلك أخذ رسول الله ﷺ يصدع بالحق ويدعو إلى هجر عبادة الأوثان ويبين حقائق الإسلام، فقامت قريش بمعاداته، وأخذ عليه الصلاة والسلام بمواجهتهم بأساليب متعددة، ومن بين هذه الأساليب أسلوب الحوار.

والمتأمل في حوار الرسول عليه الصلاة والسلام مع المشركين أو مع المؤمنين أو مع غيرهم كأهل الكتاب يلاحظ، أن هناك سمات مميزة لحواره ﷺ من أبرزها ما يأتي:

---

(١) سورة الشعراء / آية ٢١٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / ج٣ / ص٨٣.

١ ـ الرفق واللين

الرفق واللين هما السمة الغالبة في حوار الرسول عليه الصلاة والسلام فالرفق ما كان في شيء إلا زانه ومانزع من شيء إلا شانه، وكان عليه الصلاة والسلام يحث عليه، فقال عليه الصلاة والسلام: (يا عائشة إنّ الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه)[١].

ولقد تحلى ﷺ الرفق واللين في أحواله جميعها، وكان ذلك سبباً رئيساً في نجاح دعوته ﷺ وتأليف القلوب حوله. ومن أمثلة رفقه ﷺ ما رواه أبو أمامة ﷺ قال: (إنّ فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه، فقال: أدنه فدنا منه قريباً قال فجلس قال أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[٢].

وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: (بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم. فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمّاه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه. فوالله ماكهرني[٣] ولا ضربني ولا شتمني. قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)[٤].

---

(١) صحيح مسلم / ج٤ / ص٢٠٠٤.

(٢) مسند الإمام أحمد / ج٥ / ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) كهرني: الكهر: الانتهار، أو استقبله بوجه عبوس/ انظر النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير/ ج٤ / ص٢١٢.

(٤) صحيح البخاري / ج١ / ص ٣٨١ - ٣٨٢.

٢ ـ الحلم والصبر

ضبط النفس وحملها على تحمل جهل الآخرين من الأمور الضرورية لكل محاور ينشد الحق، وليس المقصود بذلك السكوت عن الهوان أو الذل، فالمؤمن عزيز النفس كريم الطبع يأبى الضيم ويرفض الذل، وإنما المقصود هنا ضبط النفس ومنعها من الطيش والانفعال والخروج عن مكارم الأخلاق، ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في حلمه وصبره فكان من هديه عليه الصلاة والسلام الحلم والصبر في أحواله جميعها، ولا يزيده جهل الناس عليه إلا حلماً وصبراً.

ومثال ذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثَّرَتْ به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: (مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)[1].

وجاء يهودي اسمه «زيد بن سعنه» إلى رسول الله ﷺ يطالبه بدين له قبل حلول الأجل، وأخذ بمجامع قميص ورداء رسول الله ﷺ وجذبه وأغلظ له القول وقال: يا محمد ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير ثم قال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال: (أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أنْ تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر)، وكان هذا الحلم منه ﷺ سبباً في إسلام زيد وقال: أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكان يقول قبل القصة، لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً)[2].

٣ ـ حسن الاستماع

من سمات الحوار الناجح احترام كل طرف للآخر، ومن مقتضيات ذلك حسن الاستماع، وعدم مقاطعة أحد المتحاورين للآخر، والمتأمل في حوار الرسول عليه الصلاة والسلام مع

---

(١) صحيح البخاري / ج٢ / ص٩٧٠.

(٢) البداية والنهاية / ج٢ / ص٣١٠.

الآخرين يلاحظ أنه عليه الصلاة والسلام كان يصغى للطرف الآخر دون مقاطعة، ويعطي محدثه الفرصة الكاملة ليقول ما يريد دون أن يعاجله ثم يرد عليه بعد ذلك.

ومثال ذلك ما حدث في محاورته لعتبة بن ربيعة -وكان سيداً في قومه- قال وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: (يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة[1] في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ (قل يا أبا الوليد أسمع)، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد -بما جئت به من هذا الأمر- مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبه ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: (أقد فرغت يا أبا الوليد)؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني قال أفعل فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾[2].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك[3].

---

(١) السطة/أي الوسط في الشيء ويعنى أعدلهم وأفضلهم/انظر المحيط في اللغة/ إسماعيل بن عباد/ج٨، ص٣٥٢.

(٢) سورة فصلت/ الآيات ١ - ٥.

(٣) السيرة النبوية / ابن هشام / ج١ / ص٣١٣ - ٣١٤. ورواها ابن أبي شيبة في مصنفه ج١٤/ ص ٢٩٥ - ٢٩٧، والبيهقي في الدلائل ج٢ / ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

فهذا الحوار يظهر بصورة جلية حسن استماع رسول الله ﷺ لعتبة، وكيف أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه الفرصة الكاملة ليخرج كل ما في جعبته من كلام.

يضاف إلى ما سبق نجد أن الرسول عليه السلام يعطي عتبة فرصة أخرى للحديث إذا رغب في استكمال أي قول وذلك بقول الرسول: (أقد فرغت يا أبا الوليد). وهذا قمة الأدب النبوي الرفيع، مع الأخذ بعين الاعتبار أن حديث عتبة ابتداءً يتعارض مع عقيدة التوحيد، ولكن خلق الرسول العظيم يتسع لسماع اعتراضات الكفار وشبهاتهم، بل يتسع لتحمل سبهم وشتمهم، وكان يقابل كل ذلك بالصبر والرد الجميل والحلم والأناة والعفو وهو مطمئن، هادئ، ودود.

٤ ـ عدم مقابلة الإساءة بمثلها

كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام الحلم والعفو وعدم مقابلة السيئة بمثلها، بل كان يدفع بالتي هي أحسن امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

وماكان عليه الصلاة والسلام ينتقم لشخصه قط وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ومما يدل على عدم مقابلة الإساءة بمثلها موقفه من كفار قريش الذين آذوه أشد الأذى، حيث قابل ذلك كله بالعفو والصفح الجميل، فعندما فتح مكة ودانت قريش لرسول الله ﷺ أعلن العفو عن عامة أهل مكة حيث قال لهم: (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: أذهبوا فأنتم الطلقاء)[2].

ويوم حنين عندما قسم الغنائم قام رجل وقال: (والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله. قال فقلت -عبدالله بن زيد رضي الله عنه- والله لأخبرن رسول الله ﷺ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصِرف[3]، ثم قال: (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال: ثم قال: (يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)[4].

---

(١) سورة فصلت / الآية ٣٤.

(٢) السيرة النبوية / ابن هشام / ج٤ / ص٣٢. وانظر زاد المعاد / ابن القيم / ج٣ / ص٤٠٧ - ٤٠٨.

(٣) الصرف بكسر الصاد هو صبغ أحمر يصبغ به الجلود قال ابن دريد وقد يسمى الدم أيضاً صرفاً / انظر صحيح مسلم بشرح النووي / ج٧ ، ص١٥٨.

(٤) صحيح مسلم / ج٢ / ص٧٣٩.

وعندما دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، (قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت وعليكم)[١].

٥ ـ الإنصاف

العدل والإنصاف في الحوار من المبادئ التي أمر الله بها عباده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[٢]. فالعدل مطلوب في كل شيء، في الحكم والوزن والعمل والقول، والعدل في القول يكون (بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون والإنصاف وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم). بل إذا تكلم العالم عن مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل ويعدّ قربها من الحق وبعدها منه.

وذكر الفقهاء أن القاضي «يجب عليه العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه»[٣]، ومن أمثلة الإنصاف في حواره ﷺ، ما حدث في أعقاب غزوة حنين، حيث وزع الرسول ﷺ الغنائم على قريش وبعض قبائل العرب، ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً فوجد الأنصار في أنفسهم شيئاً، فعلم بذلك رسول الله ﷺ فجمعهم وقام فيهم خطيباً وقال: (يا معشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، ومتفرقين فجمعكم الله بي ويقولون: الله ورسوله أَمَنُّ. فقال: ألا تجيبوني؟ فقالوا: الله ورسول أمن، فقال: أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا..)[٤].

وجاء في كتب السيرة قوله ﷺ: (أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقتم ولصُدِّقتم أتيتنا مُكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة[٥] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى

(١) فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / ج١٠ / ص٤٤٩.
(٢) سورة الأنعام / آية ١٥٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن / السعدي / ج٢ / ص ٥٠١ - ٥٠٢.
(٤) صحيح مسلم / ج٢ / ص٧٣٨.
(٥) لعاعة: أي بقية يسيرة / انظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / ج٤ / ص٢٥٤.

إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)[1] فبكى القوم حتى أخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

ومن خلال هذا الحوار نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام أنصف الأنصار، فبعد أن بين عليه الصلاة والسلام فضله عليهم، ذكر نيابة عنهم مزاياهم وجميلهم، حيث صدقوا الرسول ونصروه وآووه وواسوه، ثم طيب خاطرهم بفوزهم بصحبة رسول الله ﷺ والدعاء لهم ولذريتهم بالرحمة. وهذا قمة الإنصاف الذي يليق بمقام الرسول عليه الصلاة والسلام.

(١) السيرة النبوية / ابن هشام / ج٤ / ص١٤٨. وانظر القصة في الفتح / ج٨ / ص ٥٢ - ٥٣.

الفصل الثالث

نماذج من حوار السلف

المتتبع لسيرة سلف الأمة الإسلامية يلاحظ نماذج كثيرة للحوار خاضها علماء الأمة في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الله.

وكان حوارهم يتسم بمراعاة الآداب الإسلامية والالتزام بالقواعد الشرعية والبعد عن المكابرة والمماراة.

ومن أبرز سمات حوار السلف الاعتماد على الأدلة والبراهين الشرعية وقوة الحجج العقلية.

وهذه نماذج متنوعة لحوار الأئمة الأعلام تكشف لنا بصورة جلية طريقتهم في الحوار.

١ ـ محاورة الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ لمحمد بن الحسن

سمع الإمام الشافعي الفقيه محمد بن الحسن يذم المدينة، ويضع من قدر أهلها، ويعظم من أصحابه ويرفع من شأنهم.

وتأثر أبناء المهاجرين والأنصار لما سمعوه، فقام الإمام الشافعي لمحمد بن الحسن وقال له: (يا عبد الله أراك تهجو المدينة وتذم أهلها، فإن كنت أردتها، فإنها حرم رسول الله ﷺ

ودار هجرته، بها نزل الوحي وفيها دفن رسول الله ﷺ وبها قبره، سماها رسول الله ﷺ (طابة) وذكر أن فيها روضة من رياض الجنة.

وإن كنت أردت أهلها، فهم أصحاب رسول الله ﷺ وأحبابه وأنصاره وأصهاره الذين مهدوا الإيمان وحفظوا الوحي وجمعوا السنن. وإن كنت أردت من بعدهم فهم التابعون والعلماء في هذه الأمة)[1].

٢ ـ مناظرة الإمام أحمد بن حنبل لابن أبي دؤاد المعتزلي

جرت هذه المناظرة أمام أمير المؤمنين الواثق، المتأثر بقول المعتزلة في مسألة خلق القرآن.

فعندما دخل الإمام أحمد على الأمير قال: (السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلم الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[2].

فقال ابن أبي دؤاد: الرجل متكلم. قال له: كلّمه، فقال: يا شيخ ما تقول في القرآن؟ قال لم ينصفني ولي السؤال. قال: سل، قال: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. قال الشيخ: هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر والخلفاء الراشدون، أم شيء لم يعلموه؟ قال: شيء لم يعلموه، فقال: سبحان الله شيء لم يعلمه النبي ﷺ علمته أنت؟ فخجل. فقال أقلني. قال: المسألة بحالها. قال: نعم علموه، فقال: علموه ولم يدعوا الناس إليه، قال: نعم. قال: أفلا وسعك ما وسعهم؟.

قال - محمد بن الواثق -: فقام أبي فدخل مجلساً واستلقى وهو يقول: شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت! سبحان الله! شيء علموه ولم يدعوا الناس إليه، أفلا وسعك ما وسعهم؟ ثم أمر برفع قيوده. وأن يُعطى أربع مئة دينار ويؤذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعدها أحداً)[3].

---

(١) مناقب الإمام الشافعي / الإمام الرازي / تحقيق أحمد السقا / ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) سورة النساء / الآية ٨٦.

(٣) سير أعلام النبلاء / الذهبي / ج١١ / ص٣١٣.

والمتأمل في هذا الحوار يلاحظ الأمور الآتية:

أ ـ جمع الإمام أحمد رحمه الله بين أدب الحوار وقوة الشخصية، حيث لم يقبل تطاول أمير المؤمنين عليه، فأدب الحوار لا يعني قبول الضيم وتطاول الآخرين.

ب ـ قوة الحجة عند الإمام -رحمه الله- حيث رتب ردوداً مفحمة لكل إجابة محتملة من الطرف المقابل.

جـ ـ إحالة شبهتهم - إلى معرفة رسول الله ﷺ بها، الذي لا يختلف الطرفان على أسوته وقدوته وكمال علمه، مما جعل أمير المؤمنين يخجل ويتراجع عن شبهته إلى درجة أنه أخذ يردد كلام الإمام وهو متأثر بمنطقه، يضاف إلى ذلك تخلّيه عن ابن أبي دؤاد رائد الشبهة بالقول بخلق القرآن.

٣ ـ مناظرة الإمام ابن القيم مع علماء النصارى

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم (زاد المعاد) ما يأتي: (دار بيني وبين بعض علمائهم ـ النصارى ـ مناظرة، فقلت أثناء الكلام: لا يتم لكم القدح في نبوة نبينا ﷺ إلا بالطعن في الرب تعالى، والقدح فيه، ونسبته إلى أعظم الظلم والسفه والفساد، تعالى الله عن ذلك.

فقال: كيف يلزمنا ذلك؟ قلت: بل أبلغ من ذلك، لا يتم لكم ذلك إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالى، وبيان ذلك أنه إذا كان محمد عندكم ليس بنبي صادق، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله ويتقول عليه ما لم يقله، ثم يتم له ذلك، ويستمر حتى يحلل ويحرم ويفرض الفرائض ويشرع الشرائع وينسخ الملل ويضرب الرقاب ويقتل أتباع الرسل وهم على الحق... وهو مع ذلك يؤيده وينصره.... فيلزمكم معاشر من كذبه أحد أمرين لابد لكم منهما:

إما أن تقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر، ولو كان للعالم مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للظالمين.

الثاني: نسبة الرب إلى مالا يليق به من الجور والسفه والظلم وإضلال الخلق دائماً أبد الآباد، لا بل نصرة الكاذب والتمكين له من الأرض وإجابة دعواته... فأين هذا من فعل

أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟ فلقد قدحتم في رب العالمين أعظم قدح... ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكاذبين قام في الوجود وظهرت له شوكة ولكن لم يتم له أمره ولم تطل مدته، بل سلط عليه رسله وأتباعهم فمحقوا أثره وقطعوا دابره واستأصلوا شأفته، هذه سنته في عباده... فلما سمع مني هذا الكلام قال: معاذ الله أن نقول: إنه ظالم أو كاذب، بل كل منصف من أهل الكتاب يقر بأن من سلك طريقه واقتفى أثره فهو من أهل النجاة والسعادة في الآخرة.

... قلت: فقد لزمك تصديقه، ولابد وهو قد تواترت عنه الأخبار بأنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين... فبهت الكافر ونهض من فوره[1].

هذه نماذج متعددة لحوار سلف الأمة، تهدف بالدرجة الأولى إلى إعزاز دين الله ونصرة الحق والدفاع عنه وإبطال الباطل.

كما أن الصفة الغالبة على حوارهم تتسم بقوة البيان وفصاحة اللسان، والاستناد إلى الدليل والبرهان والحجج العقلية التي لا يستطيع الطرف المقابل إلا التسليم بها أو البهتان.

(١) زاد المعاد / ابن القيم / ج٣ / ص ١٣٩ - ١٤٢ وقد نقلت المحاورة مختصرة منعاً للإطالة.

الباب الثاني

فقه الحوار

الفصل الأول

الإقرار بوجود الخلاف

اقتضت مشيئة الله -سبحانه وتعالى- وقوع الخلاف بين الناس، فهم مختلفون في الطبائع والألوان والألسنة والإفهام والعقول... إلى غير ذلك من أنـــواع الخلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1].

قال الإمام الرازي -رحمه الله-: (والمراد افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال)[2].

وقال الإمام الطبري -رحمه الله-: (ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك فآمن بالله وصدق رسله)[3].

وهناك اختلاف وقع في سلف الأمة الإسلامية، وهذا الخلاف له أسباب عدة منها:

١ ـ دلالة اللفظ

حيث إن بعض الألفاظ تحتمل معانٍ عدة، عندئذٍ يختلف المجتهدون في المراد من اللفظ،

---

(١) سورة هود / الآيتان ١١٨ - ١١٩.

(٢) التفسير الكبير / الرازي / ج١٨ / ص٧٨.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن / الطبري / ج١٥ / ص٥٣٤.

مما يؤدي إلى الخلاف بينهم، ومثال ذلك اختلاف الفقهاء في مراد الشارع بكلمة (القرء) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[١].

فالقرء بلغة العرب تأتي بمعنين الطهر والحيض.

وفي ضوء هذا الاختلاف، اختلف الفقهاء في عدة المطلقة، أتكون بالطهر أم بالحيض، فمن جعل القرء بمعنى الحيض، أوجب التربص ثلاثة أشهر كاملة، ومن جعل القرء بمعنى الطهر لم يوجب ثلاثة لأنه يكتفي بطهرين وبعض الثالث[٢].

٢ ـ الاختلاف في فهم المراد من كلام الشارع

فقد يرد الأمر من الشارع، فيحمله بعضهم على الظاهر، ويحمله الآخرون على المعنى ومثال ذلك، قول الرسول عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم)[٣].

فمن الصحابة فهم أن المراد هو الإسراع فصلى العصر في الطريق، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة حسب الظاهر من الأمر.

٣ ـ خلاف يعود إلى رواية السنن

(وهذا النوع من الأسباب متعدد الجوانب، مختلف الآثار، وإليه ترجع معظم الاختلافات الفقهية التي وقعت لعلماء السلف)[٤].

وقد أجمل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أسباب الاختلاف في ذلك إلى ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

الثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٢٨.
(٢) انظر المغني / ابن قدامه / ج٨ / ص١٠٢.
(٣) صحيح البخاري / ج٣ / ص١٢٥٥.
(٤) أدب الاختلاف في الإسلام / د. طه جابر / ص١١٢.

الثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ[١].

ثم فرّع -رحمه الله- من هذه الأصناف أسباباً عدة نجملها على النحو الآتي:

١ ـ ألاَّ يكون الحديث قد بلغه.

٢ ـ أن يكون الحديث قد بلغه لكنه لم يثبت عنده.

٣ ـ اعتقاده ضعف الحديث باجتهاد خالفه فيه غيره.

٤ ـ اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره.

٥ ـ أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده، لكن نسيه.

٦ ـ عدم معرفته بدلالة الحديث[٢].

٤ ـ وهناك أسباب للاختلاف تعود إلى القواعد الأصولية وضوابط الاستنباط، حيث اختلف الفقهاء في مناهجهم الأصولية مما أدى إلى الاختلاف بينهم.

كما أن هناك اختلافاً في بعض الأمور المتعلقة بدلالات النصوص وطرق تلك الدلالات وما يحتج به منها، وعن كل ذلك نشأت اختلافات فقهية في كثير من الفروع[٣].

هذه جمله أسباب تؤدي إلى الخلاف بين العلماء، ولاسيما في الفقه الإسلامي. ولا ينبغي لمثل هذا الخلاف أن يؤدي إلى اختلاف القلوب أو إلى شقاق ونزاع، لأن هذا الاختلاف إنما هو اختلاف اجتهاد من أجل الوصول إلى الحق ولكل مجتهد أجر، وكما جاء في الحديث (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[٤].

وحول هذا الموضوع يقول الخطابي -رحمه الله- (والاختلاف في الدين ثلاثة أقسام، أحدها في إثبات الصانع ووحدانيته وإنكار ذلك كفر. والثاني في صفاته ومشيئته وإنكارها بدعة. والثالث في أحكام الفروع المحتملة وجوهاً فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء[٥]).

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام / ابن تيمية / ص١٢.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر / رفع الملام عن الأئمة الأعلام / ابن تيمية / ص١٣ ومابعدها.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر أدب الاختلاف، د.طه جابر، ص١١٥، ١١٦.

(٤) صحيح مسلم / ج٣ / ص١٣٤٢.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي / ج١١ / ص٩٢.

وهناك خلاف منشؤه الهوى، والهوى لا يأتي بخير، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[2].

وأغلب انحراف أهل الملل والنحل والبدع يعود إلى آفة الهوى، فهو منبت كل شر. وهناك خلاف أملاه الحق، كمخالفة أهل الكفر والنفاق والملل والنحل والبدع، (وكذلك اختلاف المسلم مع أهل العقائد الكافرة والملحدة كاليهودية والنصرانية والوثنية والشيوعية.

ولكن الاختلاف مع أهل تلك الملل وهذه العقائد لا يمنع من الدعوة إلى إزالة أسبابه بدخول الناس في دين الله أفواجاً وتخليهم عن دواعي الخلاف من الكفر والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق والإلحاد والبدع والترويج للعقائد الهدامة)[3].

موقف المسلم من الخلاف

تبين مما سبق أن الخلاف ينقسم إلى عدة أقسام:

أ ـ خلاف محمود وهو ما أملاه الحق كمخالفة اليهود والنصارى وسائر أهل الباطل.

ب ـ خلاف مذموم منشؤه الهوى والتعصب.

جـ ـ خلاف سائغ مقبول منشؤه الاجتهاد.

وموقف المسلم من هذا الخلاف يمكن أن نجمله على النحو الآتي:

١ ـ بالنسبة لمخالفة أهل الباطل، فهو البراءة منهم ومن معتقداتهم، وبغضهم في الله، وهذا لا يمنع من محاورتهم ودعوتهم إلى الحق وكشف باطلهم وماهم فيه من ضلال، فقد أمر الله نبينا محمد ﷺ بمحاورة أهل الكتاب من أجل دعوتهم إلى دين الله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام / الآية ١١٩.

(٢) سورة ص / الآية ٢٦.

(٣) أدب الاختلاف / د. طه جابر / ص ٣٠ - ٣١.

(٤) سورة آل عمران / الآية ٦٤.

وحول هذا الموضوع يقول ابن القيم -رحمه الله-: (يجوز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل يستحب ذلك، بل يجب إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليوَلِّ ذلك إلى أهله وليخل بين المطي وحاديها والقوس وباريها)[١].

٢ ـ كذلك الشأن مع أصحاب الملل والنحل وأهل البدع فينبغي محاورتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وحول هذا الموضوع يقول ابن تيمية -رحمه الله-(ومما ينبغي أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه فيكون محموداً فيما رده من الباطل وقاله من الحق[٢]).

٣ ـ أما الخلاف السائغ المقبول والناتج عن اجتهاد العلماء، فيجب ألا يؤدي إلى التعصب والتباغض، لأن كل واحد منهم مجتهد في إصابة الحق واختيار الأفضل ولكل مجتهد أجر.

لذلك يجب على كل مسلم أن يقف من الأمور المختلف فيها موقف السلف الصالح، حيث كان موقفهم يتلخص في رد الحكم إلى الله ورسوله امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[٣].

وامتثالاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[٤].

لذلك نجد أن موقف السلف من الاختلاف (إنما هو طلب الدليل والنظر فيما هو الراجح،

---

(١) زاد المعاد / ابن القيم / ج٣ / ص١٣٩ بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٣ / ص٣٤٨.

(٣) سورة النساء / الآية ٥٩.

(١) مسند الإمام أحمد / ج٤ / ص١٢٧.

فإن لم يتبين عملوا بالأحوط وأخذوا بما هو أشبه بالكتاب أو السنة أو الإجماع أو ماكان في معنى هذه الأوجه)[١].

فالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ هو الذي يدرأ النزاع، وهو الحق الذي يجب اتباعه عند الاختلاف.

قال ابن تيمية -رحمه الله- (فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه)[٢].

وبعامة فإن الإسلام يدعو إلى نبذ الفرقة والاختلاف ويدعو إلى الألفة والمودة والمحبة، وخير وسيلة للوصول إلى ذلك الحوار المنضبط البعيد عن الهوى والتعصب، الهادف إلى إحقاق الحق.

(١) موقف الأمة من اختلاف الأئمة / الشيخ عطية سالم / ص١٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٠ / ص١٢.

الفصل الثاني

اختلاف الحوار باختلاف الأشخاص

الناس ليسوا على نمط واحد، فعقولهم ومداركهم متفاوتة، فمنهم اللبيب الذي تكفيه الإشارة، ومنهم الذي يحتاج إلى التوضيح والإطناب في أبسط المسائل، ومنهم من يحتاج إلى ضرب الأمثلة من واقع بيئته ليستوعب الأمر، ومنهم من يحتاج إلى الأدلة والبراهين ليقتنع.. وهكذا لكل مقام مقال.

والمحاور الحكيم هو الذي ينزل الناس منازلهم ويحاورهم على قدر عقولهم. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)[1].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (ما أنت بمحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[2]. وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[3].

فينبغي للمحاور مخاطبة الناس على قدر عقولهم (فالطالب لا يخاطب كما يخاطب العالم، والكبير لا يخاطب كما يخاطب الصغير أو النظير، وعليه ألا يفترض -قبلاً- في

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / ج١ / ص٥٥.

(٢) صحيح مسلم / ج١ / ص١١.

(٣) فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / ج١ / ص٢٢٥.

محاوره الذكاء فيكلمه بحيث لا يفهم، ولا الغباء فيشرح ويبين مالا يحتاج إلى شرح وبيان)[١].

كما ينبغي للمحاور أن يدرك معتقدات الناس وميولهم ورغباتهم وثقافاتهم ومستواهم العلمي، ليحاور كل شخص بما يناسبه، فمناقشة الوثني على سبيل المثال تختلف عن مناقشة أهل الكتاب، ومناقشة المشرك تختلف عن مناقشة المسلم العاصي، ومناقشة أهل البدع والأهواء تختلف عن مناقشة الكفار.... وهكذا، لهذا نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما بعث معاذاً بن جبل ﷺ إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله... الحديث)[٢]. فكان أول شيء أرشد إليه ﷺ أنهم أهل كتاب ليراعي معاذ خطابهم.

والمتأمل في كتاب الله يجد تنوع الأسلوب القرآني في حواره مع الناس، فتارة يسوق الأدلة والحجج والبراهين للتدليل على وحدانية الله وقدرته على البعث والنشور[٣] لاسيما مع المشركين، وتارة يسوق القصص وضرب الأمثلة[٤] لاسيما مع أهل الكتاب، وتارة يستخدم أسلوب الغلظة والشدة لاسيما مع المنافقين[٥]، وتارة يستخدم أسلوب التحدي من أجل إظهار الحق وإبطال الباطل[٦].

وعلى سبيل المثال، نجد أن حوار القرآن الكريم مع الملحدين يتسم بسوق الأدلة الفطرية والحجج العقلية والأدلة الحسية المشاهدة ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[٧].

فالمخلوقات إما أن توجد نفسها من غير خالق وهذا محال ويجزم العقل ببطلانه، وإما أن تكون هي المحدثة لنفسها الخالقة لها وهذا أيضاً محال عَقلاً، وإذا بطل هذان الاحتمالان لم يبق إلا الاحتمال الثالث وهو أن هذه المخلوقات لها خالق خلقها وهو الله الخالق لكل شيء سبحانه وتعالى.

---

(١) في أصول الحوار / الندوة / ص٣٥.
(٢) صحيح مسلم / ج١ / ص٥٠.
(٣) سورة يس / الآيات ٧٨ - ٨١.
(٤) سورة آل عمران / الآية ٥٩.
(٥) سورة البقرة / الآيات ٨ - ٢٠.
(٦) سورة البقرة / الآيتان ٢٣ - ٢٤.
(٧) سورة الطور / الآية ٣٥.

ومع أهل الكتاب نجد أن القرآن الكريم يأمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن باستثناء الذين ظلموا منهم، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[1].

ومن أسلوب القرآن في محاورة أهل الكتاب بيان تحريفهم لكتبهم والرد على شبهاتهم وافتراءاتهم من أجل إقامة الحجة عليهم وإظهار باطلهم للمؤمنين، ومثال ذلك افتراؤهم على الله بقولهم: إنه سبحانه وتعالى فقير، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ﴾[2].

وأسلوب القرآن مع المنافقين يتسم بالغلظة والشدة، ذلك أن المنافقين لا ينقصهم معرفه الأدلة والبراهين، وإنما الحقد والحسد والعناد والمكابرة حالت بينهم وبين الحق، لذلك جاء التوجيه الرباني للرسول بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾[3].

وحول ظلال هذه الآية يقول سيد قطب -رحمه الله-: (لقد كان الرسول - ﷺ- لاين المنافقين كثيراً، وأغضى عنهم كثيراً، وصفح عنهم كثيراً... فها هو ذا يبلغ الحلم غايته، وتبلغ السماحة أجلها، ويأمره ربه أن يبدأ معهم خطة جديدة، ويلحقهم بالكافرين في النص، ويكلفه جهاد هؤلاء وهؤلاء جهاداً عنيفاً غليظاً لا رحمة فيه ولا هوادة. إن للّين مواضعه وللشدة مواضعها. فإذا انتهى أمد اللين فلتكن الشدة، وإذا انقضى عهد المصابرة فليكن الحسم القاطع.. وللحركة مقتضياتها، وللمنهج مراحله، واللين في بعض الأحيان قد يؤذي والمطاولة قد تضر[4]).

أما محاورة القرآن الكريم لعصاة المسلمين فإنها تدور بين التنبيه والموعظة الحسنة والترغيب والترهيب، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾[5].

---

(١) سورة العنكبوت / الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٨١.

(٣) سورة التوبة / الآية ٧٣.

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج٣ / ص١٦٧٧.

(٥) سورة النور / الآية ٥٥.

وهكذا نجد أن أسلوب القرآن يختلف باختلاف الناس، وحول هذا الموضوع يقول شيخ الإسلام -ابن تيمية- رحمه الله: (القرآن جاء بالبينات والهدى، بالآيات البينات وهي الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]. والحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تخاطب بالحكمة، فيبين لها الحق علماً وعملاً فتقبله وتعمل به وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتّباعه، فهؤلاء تكون دعوتهم بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فإنه يجادل بالتي هي أحسن[2]).

فالمحاور الحكيم هو الذي يخاطب الناس على قدر عقولهم بأسلوب يليق بمستواهم، ويضع بعين الاعتبار أن ما يناسب فئة من الناس قد لا يناسب غيرهم وأن لكل مقام مقال.

ونختم هذا المبحث بكلام نفيس للشيخ السعدي -رحمه الله- حيث يقول: (ومن الآداب الطيبة الكلام مع كل أحد بما يليق بحاله ومقامه، مع العلماء بالتعلم والاستفادة والاحترام، ومع الملوك والرؤساء بالاحترام والكلام اللطيف اللين المناسب لمقامهم، ومع الإخوان والنظراء بالكلام الطيب ومطارحة الأحاديث الدينية والدنيوية والانبساط الباسط للقلوب المزيل للوحشة المزين للمجالس، ويحسن المزح أحياناً إذا كان صدقاً ويحصل فيه هذه المقاصد، ومع المستفيدين من الطلبة ونحوهم بالإفادة، ومع الصغار والسفهاء بالحكايات والمقالات اللائقة بهم مما يبسطهم ويؤنسهم، ومع الأهل والعيال بالتعليم للمصالح الدينية والدنيوية والتربية البيتية وتوجيههم للأعمال التي تنفعهم، مع المباسطة والمفاكهة، فإنهم أحق الناس ببرّك ومن أعظم البر حسن المعاشرة، ومع الفقراء والمساكين بالتواضع وخفض الجناح وعدم الترفع والتكبر عليهم، فكم حصل بهذا من خيرات وبركات، وكم حصل بضده من شر وفوات خير، ومع من تعرف منه البغض والعداوة والحسد بالمجاملة وعدم الخشونة، وإن أمكنك الوصول إلى أعلى الدرجات وهي قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[3]. فما أكمله من مقام لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم[4]).

---

(١) سورة النحل / الآية ١٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / بتصرف / ج١٩ ، ص١٦٤.

(٣) سورة فصلت / الآية ٣٤.

(٤) الرياض الناضرة / عبدالرحمن السعدي / ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

الفصل الثالث

تحرير محل الاتفاق ومحل النزاع

سبق الحديث عن الخلاف، وأن وقوعه بين الناس أمر بدهي لاختلاف عقول الناس وللأسباب المؤدية إليه والتي سبق ذكرها.

وخير وسيلة للتغلب على الخلاف هو الحوار، ولكي لا يتشعب الحوار ويطول أمره، أو يتحول إلى جدل عقيم، كان لزاماً على المتحاورين أن يبينوا محل الاتفاق ومحل النزاع كي يصلوا إلى تحقيق الهدف المنشود من الحوار. إذ إن تحديد الهدف يضبط الحوار ويمنع تشعبه كما يمنع الدخول في متاهات واستطرادات لا فائدة من ورائها، كما أن تحرير محل الاتفاق يؤدي إلى حصر النقاط المختلف عليها ويختصر وقت الحوار لأن الأمور المتفق عليها لا تحتاج إلى نقاش وإقناع بين المتحاورين فهي من المسلمات المتفق عليها.

أما القضايا المختلف فيها، فإما أن يكون طرف الحوار فيها مسلم أو كافر، فإن كان الحوار مع مسلم فلابد من مرجع يعتمد عليه عند الاختلاف، وهذا المرجع جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[1].

---

(١) سورة النساء / الآية ٥٩.

وقال ﷺ: (... من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)[١].

وفي موطأ الإمام مالك أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)[٢].

وحول مدلول قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه. إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع)[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بشأن مناظرة أهل البدع (ائتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك، وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة. وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل)[٤].

لهذا عندما تناظر الإمام عبدالعزيز المكي مع بشر المريسي بحضرة أمير المؤمنين المأمون حول بدعة قولهم بخلق القرآن، قال الإمام عبدالعزيز للمأمون: (وقد تنازعت أنا وبشر يا أمير المؤمنين وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ كما أمر الله عز وجل فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى كتاب الله عز وجل فإن وجدناه فيه وإلا إلى سنة نبيه ﷺ فإن وجدناه فيها وإلا ضربناه في الحائط ولم نلتفت إليه)[٥].

أما إذا كان الحوار مع غير المسلمين فينبغي تحديد الأمور المختلف فيها وتحديد الهدف من الحوار ووضع برنامج زمني لتحقيقه كما ينبغي استعراض القضايا المختلف فيها وعدم

---

(١) سنن ابن ماجة / ج١ / ص١٦.
(٢) الموطأ / ص٦٤٨.
(٣) إعلام الموقعين / ابن القيم / ج١ / ص٤٩.
(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٠ / ص ١٦٢ - ١٦٣.
(٥) كتاب الحيدة / الإمام عبدالعزيز المكي / ص١٢.

الانتقال من قضية إلى أخرى قبل الانتهاء منها وقوام كل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

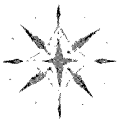

(١) سورة النحل / الآية ١٢٥.

الباب الثالث

فقه الموازنات في الحوار

الفصل الأول

التفريق بين القطعيات والظنيات

الحوار الناجح هو المبني على أسس وضوابط، ومن بين تلك الضوابط التفريق بين القضايا المتفق عليها والقضايا المختلف فيها. كذلك التفريق بين الأمور القطعية والأمور الظنية، إذ إنّ هناك قضايا مقطوع في حكمها لا تخضع إلى نقاش أو اجتهاد وهي ما وردت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما أجمعت عليه الأمة، فهذه أصول معصومة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (فدين المسلمين مبني على إتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول)[1].

وهذه الأصول فيها ما هو قطعي الثبوت والدلالة لا يجوز فيه إلا رأيٌ واحدٌ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[2]. فهذا نص قطعي الثبوت وقطعي الدلالة أي لا يحتمل إلا معنى واحداً لا يجوز مخالفته.

وهناك نصوص دلالتها ظنية أي تحتمل أكثر من معنى مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[3] فلفظ (القروء) يحتمل أن يراد به الطهر ويحتمل أن يراد به الحيض، ومع هذا الاحتمال تكون دلالة الآية على الحكم ظنية لا قطعية.

---

(١) مجموع الفتاوى / ج٢٠ / ص١٦٤.

(٢) سورة النور / الآية ٢.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٢٨.

وبالنسبة إلى سنة الرسول ﷺ من حيث ورودها قد تكون قطعية كالأحاديث المتواترة وقد تكون ظنية مثل خبر الآحاد والسنة المشهورة وأما من حيث دلالتها على الأحكام فقد تكون ظنية وقد تكون قطعية ومثال الدلالة القطعية قول الرسول ﷺ عن زكاة الإبل (من كل خمس شاة)[١].

ومثال الدلالة الظنية قوله ﷺ: (لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة)[٢]. حيث صلت طائفة من الصحابة العصر في وقته وحملت الحديث على أن المراد هو التعجل، وصلت طائفة في بني قريظة معتمدة على ظاهر النص.

أما الإجماع، وهو في اصطلاح الأصوليين: (اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم شرعي بعد وفاة النبي ﷺ)[٣]. ومنه ما هو قطعي ومنه ما هو ظني، والقطعي هو انتفاء المخالف للإجماع ولا يجوز مخالفته، بل ذهب بعض العلماء إلى تكفير من يخالف الإجماع القطعي، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (وقد تنازع العلماء في مخالف الإجماع هل يكفر؟ على قولين والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه كما يكفر مخالف النص بتركه لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به وأما العلم بثبوت الإجماع في مسألة لا نص فيها فهذا لا يقع وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره)[٤].

وبناءً على ما سبق ذكره فإن المسائل الشرعية المقطوع بها لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز تعدد الآراء فيها، بل يجب الإتباع فيها والإذعان امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[٦].

---

(١) صحيح البخاري / ج١ / ص٤٣٣.
(٢) المصدر السابق / ج٣ / ص١٢٥٥.
(٣) الوجيز في أصول الفقه / د. عبدالكريم زيدان / ص١٧٩.
(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج١٩ / ص ٢٦٩ - ٢٧٠.
(٥) سورة الأحزاب / الآية ٣٦.
(٦) سورة النساء / الآية ١١٥.

وقال جل وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[١].

قال الغزالي -رحمه الله- في المستصفى: (والمجتَهدُ فيه كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي... وإنما نعني بالمجتهد فيه مالا يكون المخطئ فيه آثماً، ووجوب الصلوات الخمس والزكوات، وما اتفقت عليه الأمة من جليات الشرع، فيها أدلة قطعية يأثم فيها المخالف، فليس ذلك محل الاجتهاد)[٢].

أما المسائل الظنية الثبوت أو ظنية الدلالة فهي التي تكون محل الاجتهاد واختلاف وجهات نظر العلماء فيها، ومثل هذه الأمور يقع فيها الخلاف في القديم والحديث، حيث وقع الخلاف في عهد الصحابة رضي الله عنهم من ذلك اختلافهم في دفن النبي ﷺ فمن قائل ندفنه في مسجده، ومن قائل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: (سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه)[٣].

واختلفوا فيمن تكون الخلافة فيهم، أتكون في المهاجرين أم في الأنصار ثم انتهت بمبايعة أبي بكر الصديق ﷺ.

كما اختلفوا في قسمة الأراضي المفتوحة (فكان أبوبكر يرى قسمتها، وكان عمر يرى وقفها ولم يقسمها)[٤].

والمتأمل في هذا الخلاف يلاحظ أن الدافع إليه هو تحري الحق، فإذا تبين لهم اتبعوه دون أي شعور بالغضاضة (كما كانوا شديدي الاحترام لأهل العلم والفضل والفقه منهم، لا يجاوز أحد منهم قدر نفسه ولا يغمط حق أخيه، وكل منهم يرى أن الرأي مشترك وأن الحق يمكن أن يكون فيما ذهب إليه، وهذا هو الراجح عنده، ويمكن أن يكون الحق فيما ذهب إليه أخوه وذلك هو المرجوح... كما كانت أخوة الإسلام بينهم أصلاً من أصول الإسلام المهمة التي لا قيام للإسلام دونها وهي فوق الخلاف أو الوفاق في المسائل الاجتهادية)[٥].

---

(١) سورة النور / الآية ٦٣.

(٢) المستصفى / الغزالي / ج٢ / ص٣٥٤.

(٣) سنن الترمذي / ج٣ / ص٣٣٨. قال أبو عيسى حديث غريب.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر أدب الاختلاف / د. طه جابر / ص٦٢.

(٥) المصدر السابق / ص ٧٢ - ٧٣.

كما حدث خلاف فيما بعد بين التابعين وأئمة الفقه، حيث كان لكل واحد منهم قول يخالف أقوال الآخرين، ومثال ذلك اختلافهم في القدر المجزئ في مسح الرأس امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[١].

فعند الأحناف أن أقل ما يجزئ هو الناصية، ربع الرأس. وعند مالك جميع الرأس. ونقل عن الشافعية أقل ما يسمى مسحاً حتى غلا بعضهم فقال ولو بعض شعرة. وعند أحمد مسح جميع ظاهر رأسه)[٢].

والأصل في مثل هذه المسائل المختلف فيها أن لا تؤدي إلى اختلاف القلوب أو العداوة والبغضاء. فلكل مجتهد نصيب. ولنا أسوة حسنة في مواقف أئمة السلف من اختلاف الفقهاء، ومن أقوالهم:

قال سفيان الثوري - رحمه الله -: (إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه)[٣].

وقال: (ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً من إخواني أن يأخذ به)[٤].

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: (مابرح أولو الفتوى يفتون، فيحل هذا ويحرم هذا فلا يرى المحرم أن المحل هلك لتحليله ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه)[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه وإذا كان في المسألة قولان فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين)[٦].

---

(١) سورة المائدة / الآية ٦.
(٢) انظر موقف الأمة من اختلاف الأئمة/ عطية سالم/ص٥٩. والمغني / ابن قدامه / ج١ / ص٩٣.
(٣) كتاب الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي / ج٢ / ص٦٩.
(٤) المصدر السابق / ج٢ / ص٦٩.
(٥) جامع بيان العلم وفضله / ابن عبدالبر / ج٢ / ص٨٠.
(٦) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٠ / ص٢٠٧.

وقال رحمه الله: (قد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[1].

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين. نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع)[2].

وهكذا من أدرك هذا الفقه وفرق بين الأمور القطعية والظنية، وأدرك أنّ المسائل الظنية تحتمل أكثر من رأي وأنه لا يجوز إلزام أحد المتحاورين بالرأي المخالف، فإن هذا الفقه يؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود من الحوار. مع الأخذ بعين الاعتبار أنه لا قيمة للخلاف المغاير لأصول الدين كمخالفة اليهود والنصارى وأصحاب البدع والأهواء المخالفين لما أجمع عليه المسلمون، فمثل هذا الاختلاف لا يلتفت إليه بل يعامل صاحبه بما يعامل به أهل البدع كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(١) سورة النساء / الآية ٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٤ / ص١٧٢.

الفصل الثاني

التفريق بين الرأي وصاحب الرأي

الحوار العلمي الصحيح هو الذي يعالج الأفكار المطروحة ويزنها بميزان الحق بغض النظر عن قائلها، أما ربط الفكرة بصاحبها ورفضها وعدم قبولها، حتى ولو كانت صحيحة بسبب الاختلاف مع صاحبها، أو التعصب للفكرة والدفاع عنها حتى ولو كانت غير صحيحة بباعث الهوى والتعصب فإن هذا من الظلم وعدم الإنصاف. بل إن هذا الأمر يذكرنا بموقف اليهود - وهم قوم بهت - من عبدالله بن سلام ﷺ، عندما أسلم، حيث تذكر كتب السيرة، أن عبدالله بن سلام عندما أراد أن يسلم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله.

ثم قال: (يا رسول الله، إن يهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك، فأرسل إليهم فاسألهم عن أي رجل ابن سلام فيكم. فأرسل إليهم فقال: أي رجل ابن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وعالمنا وابن عالمنا وأفقهنا وابن أفقهنا.

قال: أرأيتم إن أسلم عبدالله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك.

قال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فقالوا: شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا.

فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله)[١].

والمتأمل في هذا الحوار يلاحظ أن اليهود ربطوا بين الفكرة وصاحبها، فعندما كان عبدالله بن سلام على ملتهم امتدحوا نسبه وعلمه وفقهه، وعندما ظهر لهم إسلامه وإيمانه بما جاء به رسول الله ﷺ طعنوا في نسبه وعلمه ونسبوه إلى الجهل وهذا هو البهتان المبين.

يضاف إلى ما سبق أن الهدف من الحوار هو إحقاق الحق وكشف الباطل، فإن ظهر الحق من الطرف الآخر، فلابد من التسليم والأخذ به بغض النظر عن قائله، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها وهذا ما أرشدنا إليه رسول الله ﷺ[٢].

لهذا نجد أن القرآن الكريم أنصف الكفار وهم أعداء الله، فقال تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ۖ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾[٤]. ولم يكتف القرآن بذلك بل أمر المؤمنين بالعدل مع الكفار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٥].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً)[٦].

ومن صور الإنصاف في السنة النبوية والتفريق بين الفكرة وصاحبها ما جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﷺ قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى / ابن الجوزي / ج١ / ص٣٤٠.

(٢) جاء في سنن الترمذي/ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها / ج٥ / ص٤٩.

(٣) سورة آل عمران / الآية ١١٣.

(٤) سورة آل عمران / الآية ٧٥.

(٥) سورة المائدة / الآية ٨.

(٦) تفسير ابن كثير / ج٢ / ص٣٠.

فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: (ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة) قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود ...)[1]. وتكرر الأمر ثلاث ليال، ثم قال لأبي هريرة: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ... ﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله[2].

فلما أصبح أبو هريرة أخبر الرسول ﷺ بما حدث معه فقال النبي ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك الشيطان)[3]، فالرسول عليه الصلاة والسلام بين لأبي هريرة ﷺ أن ما قاله الشيطان في فضل آية الكرسي حق وصواب على الرغم من أن مصدر هذا القول هو الشيطان.

ومن صور التفريق بين الفكرة وصاحبها ما حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، حيث اعتلى رضوان الله عليه منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس وقال: (لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس: ماذاك لك، قال ولم، قالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ ﴾[4] فقال عمر، رضوان الله عليه: (امرأة أصابت ورجل أخطأ)[5].

فعلى الرغم من اعتراض المرأة على اجتهاد أمير المؤمنين أمام الناس، غير أن قول الحق لم يمنع تراجع أمير المؤمنين عن رأيه وإنصاف المرأة.

---

(١) صحيح البخاري / ج٢ / ص١٨٧.

(٢) المصدر السابق / ج٢ / ص١٨٧.

(٣) المصدر السابق / ج٢ / ص١٨٨.

(٤) سورة النساء / الآية ٢٠.

(٥) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب / ابن الجوزي / ص١٤٩. وانظر السنن الكبرى للبيهقي / ج٧ / ص٢٣٣. كما وردت القصة في مصنف عبدالرزاق / ج٦ / ص١٨٠. وذكرها ابن كثير في تفسيره بطرق عده، انظر ج١ / ص٤١٧.

وصورة أخرى حدثت معه ﷺ، حيث كان يدخل عليه بعض أشياخ بدر رضي الله عنهم ويدخل معهم ابن عباس ﷺ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: (لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، -يقول ابن عباس- فما رُئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾؟ فقال بعضهم: أُمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾. وذلك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ماتقول[1].

والمتأمل في هذه القصة يلاحظ اختلاف نظرة أمير المؤمنين عن أشياخ بدر ﷺ، ففي الوقت الذي كان ينظر فيه بعض أشياخ بدر إلى سن ابن عباس وأنه من جيل أبنائهم كان أمير المؤمنين ﷺ ينظر إلى علم ابن عباس ورجاحة عقله.

وهكذا نلمس من خلال ما ذكر أن الحق أولى بالاتباع بغض النظر عن قائله، فالقرآن الكريم أنصف أهل الكتاب، مبيناً أن منهم طائفة أمناء بحيث لو أمنته على أموال كثيرة يؤدها إليك، ومنهم من يخون الأمانة في أقل القليل. والرسول عليه الصلاة والسلام يؤكد لأبي هريرة ﷺ صدق مقولة الشيطان في فضل آية الكرسي على الرغم من عداوته الشديدة للمؤمنين. وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لم يجد في نفسه أدنى حرج عندما خطأته امرأة في اجتهاده بتقليل مهور النساء، بل أنصف المرأة وتراجع عن اجتهاده ﷺ، كذلك كانت نظرته لابن عباس ﷺ تختلف عن نظرة بعض أشياخ بدر، حيث نظر إلى علم ابن عباس ﷺ ورجاحة عقله ولم ينظر إلى سنه، لذلك ساواه مع أشياخ بدر في الدخول إلى مجلسه ﷺ.

وهكذا شأن المحاور، عليه أن يقبل الفكرة الصحيحة بغض النظر عن قائلها سواء كان قائلها صغيراً أو كبيراً، قريباً أو بعيداً، صديقاً أو عدواً فالعبرة باتباع الحق بغض النظر عن قائله.

---

(١) صحيح البخاري / ج٣ / ص ١٦٠١ - ١٦٠٢.

الفصل الثالث

التفريق بين نقل الرأي وتبنّي الرأي

سبق الحديث عن الفرق بين الرأي وصاحب الرأي، وأن الأصل في الحوار أن ننظر للرأي بغض النظر عن قائله، ولكن إذا كان الرأي مخالفاً لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ويتبناه المحاور ويدعو الناس إليه، فلا بد في مثل هذه الحالة من كشف الباطل وإزالته وتحذير الناس من صاحب ذلك الرأي.

وفي ذلك يقول ابن تيمية - رحمه الله - (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين)[1]. وبيان الحال يكون بالحكمة والموعظة الحسنة ويتقى التجريح والسب والتعيين إلا للضرورة.

(ومما يشهد لذلك منهج القرآن العظيم في رده على أهل الكفر والإشراك والنفاق حيث يأتي في الغالب على العموم دون تخصيص فيقول: وقال الذين كفروا، أو وقال الذين أشركوا، وقال الذين لا يعلمون ونحو ذلك، مع أن القائلين معروفون، لكن الغرض من الرد هو فضح المشركين والكفرة والمنافقين كلهم لا أصحاب المقالات أو المواقف ذوات أسباب نزول الآيات فحسب)[2].

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٨ / ص٢٣١.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر فقه التعامل مع المخالف / د. عبدالله الطريقي / ص١٢٠.

ولكن قد يكون في التعيين أحياناً مصلحة راجحة فلا مناص منه من أجل ذلك لم يتورع أهل العلم في تعديل الرجال وتجريحهم وألفّوا في ذلك مؤلفات كثيرة في علم الجرح والتعديل، وعندما قيل للإمام أحمد بن حنبل (إنه يثقل عليَّ أن أقول فلان كذا، وفلان كذا فقال: إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم)[١].

وحول الموضوع يقول ابن تيمية رحمه الله: (إذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس، ولم تبين للناس، فسد أمر الكتاب، وبدل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله)[٢].

كما يجب على المحاور أن يفرق بين نقل الرأي وتبني الرأي، فناقل الكفر ليس بكافر، والمتتبع للسياق القرآني يلاحظ نقولاً كثيرة للمشركين والمنافقين والكفار فيها من الكفر والضلال وسوء الأدب مع الله الشيء الكثير، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ...﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾[٤].

كذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ ينقلون للرسول عليه الصلاة والسلام كلاماً للمنافقين وغيرهم، ومثال ذلك ما حدث مع عوف بن مالك ﷺ في غزوة تبوك[٥].

فمثل هذه الأمور لا تضر قائلها إذا أراد بقوله كشف الباطل وإنكار المنكر وبيان وجه الحقيقة.

لذلك ينبغي على المحاور أن يميز بين نقل الرأي وبين تبنى الرأي، كي يعالج الأمور بحكمة وروية.

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٨ / ص٢٣١.

(٢) المصدر السابق / ج٢٨ / ص٢٣٣.

(٣) سورة المائدة / الآية ٦٤.

(٤) سورة البقرة / الآية ١١٦.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر / تفسير ابن كثير / ج٢ / ص٣٦٧.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فعندما وزع الغنائم ـ أموال هوازن ـ يوم حنين على قبائل العرب، واستثنى الأنصار فلم يعطهم شيئاً (دخل سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد)؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)[١].

فلما اجتمعوا أتاهم رسول الله ﷺ وخطبهم وطيَّب نفوسهم ودعا لهم، حتى قالوا: (رضينا برسول الله قسماً وحظاً)[٢].

والمتأمل في هذه القصة يلاحظ أن الرسول ﷺ استوضح موقف سعد بن عبادة ﷺ من الأمر وهل هو على رأي قومه أم على خلاف رأيهم، فلما تبين له ﷺ أنه على رأيهم جمعهم جميعاً ووعظهم عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ينبغي على المحاور التمييز بين ناقل الرأي وبين متبنيه كي يضع الأمور في نصابها ويعالج كل حالةٍ بما يناسبها.

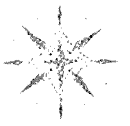

(١) سيرة ابن هشام / ج٤ / ص١٤٧. وانظر القصة في فتح الباري / ج٨ / ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) المصدر السابق / ج٤ / ص١٤٨.

الباب الرابع

آداب الحوار في الإسلام وصفات المحاور

الفصل الأول

آداب الحوار في الإسلام وفيه مباحث عدة

المبحث الأول: تهيئة الظروف المناسبة

هناك جمله آداب ينبغي لكل محاور أن يراعيها أثناء الحوار كي يحقق الحوار الهدف المنشود، ومن بين هذه الآداب تهيئة الظروف المناسبة التي تحيط بالحوار، سواء كانت هذه الظروف تتعلق بالزمان أو المكان، أو بالجانب النفسي أو الجانب العلمي، أو من حيث التوقيت... أو غير ذلك.

فإن وجد المحاور أن جميع الظروف مناسبة دخل في الحوار وإلا فإن التريث وعدم الحوار أفضل.

وإذا كان الحوار أمام جمع من الناس، فلابد من مراعاة ظروفهم وأحوالهم ونشاطهم ورغبتهم في حسن الاستماع كي لا يملوا أو ينفروا.

ولنا في صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فعندما طلب رجل من عبدالله بن مسعود ﷺ أن يذكرهم ويعظهم كل يوم قال له: (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإنما أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[1].

---

(١) صحيح البخاري / ج١ / ص٥٠.

وروى الإمام الدارمي عن ابن مسعود ﷺ قال: (إن للقلوب لنشاطاً وإقبالاً وإن لها تولية وإدباراً فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم)[١].

وكان الحسن ﷺ يقول (كان يقال حدث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم فإذا التفتوا فاعلم أن لهم حاجات)[٢].

والمتأمل في سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام يلاحظ أنهم كانوا يختارون الأوقات المناسبة للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ومثال ذلك ما حدث مع نبي الله يوسف عليه السلام، فعندما أدخل السجن، وكان فيه فتيان أنِسَا إليه وأخذا يقصان عليه رؤيا رأياها ويطلبان منه تعبيرها، لما توسما فيه من الخير والإحسان، نجد نبي الله يوسف عليه السلام ينتهز هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدة التوحيد قائلاً: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٣].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام عندما طلب منه فرعون موعداً لمباراة السحرة، وترك لموسى عليه السلام حرية اختيار الموعد قائلاً: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾﴾[٤].

نجد أن موسى عليه السلام اختار الموعد المناسب لمواجهة فرعون وهو يوم عيد من الأعياد الجامعة (يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة، قال: موعدكم يوم الزينة، وطلب أن يجمع الناس ضحى، ليكون المكان مكشوفاً والوقت ضاحياً. فقابل التحدي بمثله وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح مدة من النهار وأشدها تجمعاً في يوم العيد. لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية)[٥].

---

(١) سنن الدارمي / ج١ / ص٩٨.

(٢) المصدر السابق / ج١ / ص٩٨.

(٣) سورة يوسف / الآيتان ٣٩ - ٤٠.

(٤) سورة طه / الآية ٥٨.

(٥) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج٤ / ص٢٣٤٠.

كذلك كان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام اختيار الظروف المناسبة لتبليغ دعوة الله للآخرين، ومثال ذلك ما حدث في عام الحديبية، فعندما توجه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى مكة للعمرة، ومنعتهم قريش، نزلوا بالحديبية وأخذت الرسل تأتي وتذهب بينهم، وكان من بينهم «الحليس بن علقمة» أرسلته قريش ليفاوض الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما أشرف على النبي ﷺ، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له) فبعثت له واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت)[١]، وفي رواية لابن إسحاق، أن الحليس عندما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك، قال، فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، قال: فقالوا له: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به)[٢].

وهكذا نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام راعى الجانب النفسي عند الحُليس، فهو من قوم يعظمون البدن ولهذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام ببعث البُدُن أمامه بالإضافة إلى استقبال الناس له بالتلبية مما كان له عظيم الأثر في نفسه.

لذلك ينبغي على كل محاور أن يراعي شتى الظروف قبل الدخول في أي حوار ويختار أفضلها.

(وعليه أن يتذكر جيداً أنه مطالب بحسن انتقاء المعلومات التي يحاور بها فما يصلح أن يروى أمام الخاصة قد لا يصلح إيراده أمام العامة وما يتقبله الناس في بلد قد يرفضونه في بلد آخر، ومن قديم قالوا: ما كل ما يُعْلَم يقال، ولكل مقام مقال، وهما حكمتان نفيستان ينبغي ألا تغيبا عن أي محاور حكيم)[٣].

---

(١) صحيح البخاري / ج٢ / ص ٨٣٥ - ٨٣٦.

(٢) السيرة النبوية / ابن هشام / ج ٣ / ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٣) في أصول الحوار / الندوة العالمية / ص٣٢.

المبحث الثاني: البدء بنقاط الاتفاق والتدرج في النقاش

المحاور الناجح هو الذي يبدأ حواره بالنقاط المتفق عليها، وهذه البداية تبني جسراً من التفاهم بين الطرفين، كما توثق الصلة وتقلل من الفجوة وشقة الخلاف بينهما.

أما الانطلاق من الأمور المختلف عليها، فإن من شأن ذلك أن يؤدي إلى إثارة النفوس وتوسيع رقعة الخلاف وتشبث كل طرف برأيه بغض النظر عن صحة رأيه أو خطئه.

والمتتبع لأسلوب الحوار في القرآن الكريم يلاحظ أنه يبدأ بالأمور المسلم بها والمتفق عليها بين الطرفين، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

يضاف إلى ما سبق فان بداية الحوار -في القرآن الكريم- غالباً ما تبدأ بكلمات تحمل في ثناياها لين الجانب والتواضع والاستمالة، وهي من الأمور التي تؤدي إلى تأليف القلوب وتقريب وجهات النظر، ومثال ذلك حوار يوسف عليه السلام مع السجينين حيث بدأ حواره بقوله: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[2].

وهذا نبي الله شعيب عليه السلام يبدأ حواره بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾[3].

فمثل هذه الأمور تشكل قاعدة مشتركة بين المتحاورين، يسهل بعدها التفاهم حول القضايا المختلف عليها.

كما ينبغي على المحاور التدرج في النقاش خصوصاً إذا أراد الإقناع والعرض. فيبنى نقاشه على الأسس والمسلمات المتفق عليها ثم يتدرج من خلالها إلى إقناع محاوره، متأسياً في ذلك

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٦٤.

(٢) سورة يوسف / الآية ٣٩.

(٣) سورة هود / الآيات ٨٤ - ٨٦.

بأسلوب القرآن الكريم في حواره مع المشركين، فعلى سبيل المثال، عندما أمر الله سبحانه وتعالى الناس بعبادته، نجد أن القرآن بدأ بإثبات ربوبيته التي يعترف بها المشركون، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

ومعلوم أن المشركين يقرون بأن الله خالق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

ولا جدال عند كل ذي عقل وبصيرة أن الذي يؤمن بأن الله خالق السموات والأرض ومافيهن يجب عليه أن يؤمن بأن الله هو وحده المستحق للعبادة دون سواه.

وحول هذا الموضوع يقول صاحب الظلال -رحمه الله-: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون).. تعلمون أنه خلقكم والذين من قبلكم، وتعلمون أنه جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء، وأنه لم يكن له شريك يساعد، ولا ند يعارض. فالشرك به بعد هذا العلم تصرف لا يليق)[3].

كذلك يجب على المحاور أن يتدرج في حواره بحكمة، فلا ينتقل من قضية إلى أخرى قبل أن يحسم القضية وينتهي منها، وإلاّ فإن الحوار سيدور في حلقة مفرغة ويكون مضيعة للوقت والجهد، وفي ذلك يقول ابن عقيل -رحمه الله- (ولا يخرج من مسألة إلى أخرى حتى يستوفي الكلام في الأولى)[4]، ومثال ذلك محاورة ابن عباس ﷺ للخوارج، حيث كان لا ينتقل من قضية إلى أخرى حتى يقول لهم: أفخرجت منها، فإن قالوا: نعم، انتقل إلى قضية ثانية... وهكذا.

ولبيان ذلك فهذا جزء من حواره ﷺ مع الخوارج، قال ابن عباس: (فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت من كتاب الله عليكم وجئتكم به من سنة رسول الله ﷺ أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: قد سمعتم أو أراه قد بلغكم أنه لما كان يوم الحديبية جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال

---

(١) سورة البقرة / الآيتان ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة لقمان / الآية ٢٥.

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج١ / ص٤٧

(٤) كتاب الجدل / ابن عقيل / ص٢.

النبيﷺ لعلي: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال رسول الله ﷺ لعلي: (أمح يا علي) أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قال: وأما قولكم قتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم نعم فقد كفرتم بكتاب الله وخرجتم من الإسلام فأنتم بين ضلالتين، وكلما جئتهم بشيء من ذلك أقول: أفخرجت منها؟ فيقولون: نعم، قال: فرجع منهم ألفان...)[١].

وهكذا نجد أن ابن عباس ﷺ كان لا ينتقل من قضية إلى ثانية، حتى ينتهي من الأولى ويحسمها، إذ لا جدوى من حوار لا يؤدي إلى نتيجة أو حسم للخلاف لهذا يجب على كل محاور أن يتدرج في حواره بحكمة وأناة، سواء تعلق الأمر بالإقناع أو بالعرض.

المبحث الثالث: حسن الاستماع وعدم المقاطعة

المحاور الناجح هو الذي يتقن فن الاستماع كما يتقن فن الحوار (ومن قديم توارث الناس الحكمة التي تقول: إن الله خلق للإنسان لساناً واحداً وأذنين اثنتين ليكون ما يسمعه أكثر مما يقوله)[٢].

أما الاستئثار بالكلام وحرمان الطرف الآخر منه أو مقاطعته، فكل هذه الأمور تخالف أدب الحوار، وتؤدي إلى تنفير الطرف المقابل. كما أنها تدل على إعجاب المرء بنفسه وحبه للشهرة والثناء، والاستعلاء على الآخرين.

لذلك نجد أن العلماء يوصون كلاً من المتناظرين بحسن الاستماع وعدم المقاطعة، من ذلك قول ابن عقيل -رحمه الله-: (ومن الآداب ترك المداخلة، والانتظار والإمهال إلى أن يأتي الخصم على آخر كلامه وينتظم آخر معانيه، والإقبال على خصمه والإصغاء إليه دون غيره)[٣].

وقال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (وليتق المناظر مداخلة خصمه في كلامه وتقطيعه عليه وإظهار التعجب منه وليمكّنه من إيراد حجته، فإنما يفعل ذلك المبطلون والضعفاء)[٤].

---

(١) لمزيد من التفصيل / انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين / ابن القيم / ج١ / ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) في أصول الحوار / الندوة العالمية / ص٣٦.

(٣) كتاب الجدل / ابن عقيل / ص٢.

(٤) كتاب الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي / ج٢ / ص٣٥.

ويضيف قائلاً: (وإذا وقع له شيء في أول كلام الخصم فلا يعجل بالحكم به فربما كان في آخره ما يبين أن الغرض بخلاف الواقع له، فينبغي أن يتثبت إلى ان ينقضي الكلام، وبهذا أدب الله تعالى نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[1]. ويكون نطقه بعلم وإنصاته بحلم ولا يعجل إلى جواب، ولا يهجم على سؤال، ويحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلم، ومن مناظرته فيما لا يفهمه فإنه ربما أخرجه ذلك إلى الخجل والانقطاع فكان فيه نقصه وسقوط منزلته عند من كان ينظر إليه بعين العلم والفضل)[2].

ومن الآداب التي ذكرها الشيخ محمد الشنقيطي في المتناظرين ما يلي: (ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه)[3].

كما ينبغي على المحاور أن يحسن الاستماع، إذ إن حسن الإنصات يدل على حسن الخلق، ويشعر الطرف الآخر بالتقدير والاحترام والاهتمام، وأغلب الناس يحبون المستمع الجيد أكثر من المتكلم الجيد، لأن حسن الاستماع يتيح للطرف الآخر التعبير عن فكرته بالكامل، بخلاف مقاطعته فإن ذلك يؤدي إلى اضطرابها ونسيان بعضها مما يفقد الحوار مضمونه وثمرته.

لهذا كان الحكماء يوصون بحسن الاستماع كوصيتهم بحسن الكلام، فعن إبراهيم بن الجنيد - رحمه الله - قال: (قال حكيم من الحكماء لابنه يابني تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام، فإن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه والنظر)[4].

وقال عطاء بن رباح -رحمه الله- (إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئاً)[5].

---

(١) سورة طه / الآية ١١٤.

(٢) كتاب الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي / ج٢ / ص٣١.

(٣) آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي / ج٢ / ص٩١.

(٤) كتاب الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي / ج٢ / ص٣٣.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / ابن جماعة الكناني / ص١٠٥.

وقال -رحمه الله- (إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد)[١].

وحول حسن الاستماع يقول الشيخ السعدي -رحمه الله- (من الآداب الطيبة إذا حدثك المحدث بأمر ديني أو دنيوي أن لا تنازعه الحديث إذا كنت تعرفه، بل تصغي إليه إصغاء من لم يعرفه ولم يمر عليه، وتريه أنك استفدته منه، كما كان ألبّاء الرجال يفعلونه، وفيه من الفوائد تنشيط المحدث وإدخال السرور عليه، وسلامتك من العجب بنفسك، وسلامتك من سوء الأدب، فإن منازعة المحدث حديثه من سوء الأدب)[٢].

ولكل محاور أسوة حسنة في رسول الله ﷺ، إذ كان عليه الصلاة والسلام يصغي لمحدثه في هدوء وحلم وأناة حتى ولو كان كلام محدثه يحمل في ثناياه ما يخالف الشرع أو يثير الاشمئزاز، ومثال ذلك استماعه ﷺ إلى عتبة بن ربيعة حيث قال للرسول عليه الصلاة والسلام (... إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: (قل يا أبا الوليد أسمع)... حتى إذا فرغ عتبه ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: (أقد فرغت يا أبا الوليد)؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال أفعل....)[٣]. فتلا عليه رسول الله ﷺ أوائل سورة فصلت.

وهكذا ينبغي لكل محاور أن يحلم ويصبر على محاوره حتى ينتهي من كلامه، حتى ولو كان في كلامه ما يهيج النفس والخواطر.

ونختم هذا البحث بكلام نفيس للإمام الجويني -إمام الحرمين- في حسن الاستماع، إذ يقول (للمتناظرين وعليهما جميعاً أن يصبر كل واحد منهما لصاحبه في نوبته، وإن كان ما يسمعه منه شبه الوسواس، لأنهما متساويان في حق المناوبة، فمن لم يصبر منهما لصاحبه فقد قطع عليه حقه)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء / ج٥ / ص٨٦.

(٢) الرياض الناضرة / عبدالرحمن السعدي / ص٢٦٩.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر سيرة ابن هشام / ج١ / ص٣١٣-٣١٤. وانظر القصة في الدلائل للبيهقي / ج٢ / ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) الكافية في الجدل / الإمام الجويني / ص٥٣٣.

المبحث الرابع: إعطاء كل قضية حقها في النقاش

إعطاء كل ذي حق حقه من التوجيهات الكريمة التي جاء بها الإسلام، حيث قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه)[١].

وإذا كان هذا الأمر يتعلق بالمواريث، فإن العبرة بعموم اللفظ، فلابد من إعطاء كل أمر حقه سواء تعلق الأمر بالمواريث أو بغير ذلك كالحوار مثلاً، فجدير بالمحاور أن يعطي الحوار حقه، فلا يؤخر ما حقه التقديم ولا يقدم ماحقه التأخير، ولا يضخم الأمر الصغير ولا يهون من الأمر الكبير، ولا يطيل في الأمر القصير كي لا يمل السامع ولا يختصر ماحقه التطويل كي لا يخل بالفهم، بل يعطي الموضوع حقه فيستوفيه من جميع الجوانب كما ينبغي على المحاور أن يفرق بين أصول الدين وأحكامه القطعية، وبين الأحكام الفرعية المختلف فيها، وأنْ يبدأ بالأهم فالمهم.

وفي مواطن الاختلاف يجب على المحاور أن يولي القضايا المخالفة للعقيدة وأصول الدين الاهتمام الكبير، ويقدمها على غيرها ثم ينتقل إلى المسائل الجزئية والفرعية.

كذلك يجب على المحاور مراعاة عامل الزمان والمكان، فلا يستطرد في زمن ضيق لا يتسع للأخذ والرد، ولا يتشعب في حواره مما يؤدي إلى خروجه عن جوهر الموضوع فيفقد الحوار مضمونه وأهدافه. فلا يدري المستمع بداية الحوار من نهايته، فتحديد الهدف في بداية الحوار والمحافظة عليه أثناء الحوار بعيداً عن التشعب يوصل إلى الهدف المنشود.

كما ينبغي للمحاور أن يكون كلامه ملائماً للموضوع الذي يعالجه، وحول هذا الموضوع يقول الشيخ الشنقيطي في آداب المتناظرين: (ينبغي أن يتحرزا عن إطالة الكلام في غير فائدة وعن اختصاره اختصاراً يخل بفهم المقصود من الكلام، وأن يكون كلامهما ملائماً للموضوع ليس فيه خروج عما هما بصدده)[٢].

وعلى المحاور أن يأخذ بحكمة القول (لكل مقام مقال)، فمخاطبة العالم تختلف عن الجاهل ومخاطبة الكبير تختلف عن الصغير، فلابد من مراعاة حال ومقام المقابل.

---

(١) سنن ابن ماجة / ج٢ / ص٩٠٥.

(٢) آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي / ج٢ / ص٩١.

كما أن الاستطراد في القضايا المسلم بها والمتفق عليها وتكرارها يؤديان إلى الملل والسآمة.

وإذا كان المحاور يناقش في قضايا تتعلق بأمور الدين فلا ينبغي أن يترك الأصول ليهتم بالفروع، بل الواجب عليه أن يبدأ بالقضايا المهمة أولاً، لهذا نجد أن القرآن المكي اهتم بالدعوة إلى التوحيد والبعث والجزاء وذكر القيامة وأهوالها والجنة ونعيمها والنار وعذابها، كما وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل.... كل هذه الأمور وغيرها من أجل ترسيخ العقيدة في النفوس وتربيتها على تلقي الأوامر والنواهي والتسليم لأمر الله فيما بعد.

هكذا كان منهج القرآن الكريم في صقل النفوس وتربيتها، حيث بدأ بالقضايا الأساسية ثم انتقل إلى الأمور الفرعية، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)[1].

كذلك ينبغي على المحاور أن لا ينساق خلف محاوره في قضايا فرعية أو يستطرد في إزالة شبهات متفرعة عن قضايا أساسية، بل الواجب عليه أن يتطرق إلى صلب الموضوع وأصل القضية ثم يعالج بعد ذلك القضايا الفرعية، والمتأمل في كتاب الله يلاحظ أنه أعطى كل قضية حقها، فعندما سئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن الأهلة جاءت الإجابة مختصرة، ثم جاء التوجيه إلى قضايا مهمة تتعلق بتصحيح المفاهيم والتصورات الجاهلية، حيث كان الأنصار في الجاهلية إذا أحرموا أتوا البيوت من ظهورها[2] ظناً منهم أن هذا من أعمال البر، فجاء السياق القرآني ليصحح لهم المفهوم الحقيقي للبر وهو تقوى الله، قال تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[3].

لهذا ينبغي على المحاور أن يعطي كل قضية حقها فلا يضخم جانب على حساب جانب آخر، ولا يقلل من أمر على حساب الأمر الآخر بل الحكمة تقتضي أن يعطي كل قضية حقها من الاهتمام والنقاش.

---

(١) صحيح البخاري / ج٤ / ص١٦١٢.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر / تفسير ابن كثير / ج١ / ص٢٢٥.

(٣) سورة البقرة / الآية ١٨٩.

المبحث الخامس: عدم اتهام النيات

حقيقة النية أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ونحن البشَر لنا ظاهر الأمر، نزن أقوال وأفعال العباد بميزان الشرع وكل عمل صالح في ظاهره نقبله ونكل أمر النية فيه إلى علام الغيوب. أما إذا ظهر لنا خلاف ذلك من غدر ومكر وخديعة فإننا نحاسب الشخص بما يبديه لنا.

وحسن الظن لا يعني الغفلة وعدم الحذر... كلا، وإنما هو التزام بمنهج رباني حث عليه الشارع بنصوص عدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[1].

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: (نهى الله عز وجل عن كثير من الظن السيئ بالمؤمنين حيث قال (إن بعض الظن إثم) وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول مالا ينبغي ويفعل مالا ينبغي. وفي ذلك أيضاً، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلافها منه)[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)[3].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (المراد النهي عن ظن السوء، وقال الإمام الخطابي -رحمه الله- أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به)[4].

---

(١) سورة الحجرات / الآية ١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / السعدي / ج٧ / ص١٣٧.

(٣) صحيح مسلم / ج٤ / ص١٩٨٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي / ج١٦ / ص١١٨-١١٩.

وعليه فإنه ينبغي على المحاور -عند الاختلاف- الوقوف على ظاهر النصوص ومحاكمتها دون التدخل في النيات والطعن في المقاصد، فإذا رأى المحاور من صاحبه خطأ فعليه تصويبه بالدليل دون التجاوز إلى غير ذلك، لأن الطعن في النيات غالباً ما يمليه التعصب المذموم واتباع الهوى، ويحوّل الحوار إلى تهم وتجريح مما يؤدي إلى غلق أبواب الحوار وقطع قنوات الاتصال.

يضاف إلى ما سبق فإن الشارع نهى عن التنقيب عما في قلوب الناس وحث على الأخذ بظواهر الأمور، فعن أسامه بن زيد ﷺ قال: (بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً. فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال، قلت: يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ)[1].

وفي حديث آخر أن رجلاً قال للرسول ﷺ: (اتق الله، فقال ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: لا، لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم)[2].

ومن الآداب التي ينبغي على المحاور مراعاتُها، حمل الأمور على أحسن المحامل الممكنة وكما يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: (ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملا)[3].

فالمطلوب من المحاور حسن الظن، والوقوف على ظاهر النصوص، دون اللجوء إلى التنقيب عما في قلوب الناس واتهام النيات، وأن يقول للمحسن أحسنت وللمخطئ أخطأت برفق ولين، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5].

---

(١) صحيح مسلم / ج١ / ص٩٦.
(٢) صحيح مسلم / ج٢ / ص٧٤٢.
(٣) تفسير ابن كثير / ج٤ / ص٢١٢.
(٤) سورة البقرة / الآية ٨٣.
(٥) سورة النحل / الآية ١٢٥.

المبحث السادس: إفساح المجال للمقابل

من الآداب التي ينبغي للمحاور مراعاتها، إفساح المجال للطرف الآخر للتعبير عن وجهة نظره، فكما يحب المحاور أن تتاح له فرصة إبداء الرأي بالكامل، كذلك يحب الطرف الآخر الأمر نفسه.

وإفساح المجال معناه تهيئة الظرف المناسب للطرف المقابل كي يبدي وجهة نظره كاملة دون مقاطعة، والمتأمل في هدي الرسول عليه الصلاة والسلام في الحوار، يلاحظ أنه كان يفسح المجال لمحاوره دون مقاطعته، ومثال ذلك ما حدث مع ضمام بن ثعلبة ﷺ ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ ـ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ـ فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ.

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال: (سل عما بدا لك) فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك ان نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر)[1].

والمتأمل في هذا الحوار يلاحظ، ان ضماماً ﷺ مهدّ للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه سيشدد عليه في المسألة، فكان جوابه عليه الصلاة والسلام (سل عما بدا لك) وفي هذا تشجيع لضمام بأن يقول ما يشاء ويفهم من ذلك إفساح المجال للطرف الآخر بأن يعبر عن رأيه كاملاً.

وفي حوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم عظة وعبرة لكل محاور، حيث كانوا عليهم الصلاة والسلام يستمعون لأقوامهم وينصتون إليهم ويفسحون لهم المجال

(١) صحيح البخاري / ج١ / ص٤٨.

لإبداء وجهات نظرهم على الرغم من السب والشتم والاعتراض الذي يتخلل كلامهم ويطبع حوارهم.

ومثال ذلك، ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن قوم هود عليه السلام حيث قالوا لنبيهم: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

أما قوم نوح عليه السلام، فقد قالوا لنبيهم - فيما ذكره الله -: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾[4].

وهكذا نجد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أفسحوا المجال لأقوامهم وأعطوهم الفرصة الكاملة لإبداء آرائهم على الرغم من سوء أدبهم وكثرة سبهم، وقابلوا كل ذلك بحلم وصبر ورد جميل.

لذلك ينبغي على كل محاور أن يقتدي بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فيحسن الاستماع للطرف الآخر ويفسح له المجال لإبداء رأيه، ويصبر على كلام الخصم من إساءة أو تجريح أو نحو ذلك حتى ينتهي من كلامه ثم يرد عليه الرد المناسب الذي يتفق مع الحق.

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - في ذكر آداب الجدل والمناظرة[5]: (وإن ندرت من خصمه في جداله كلمةً كرهها أغضى عليها ولم يجازه بمثلها، فان الله تعالى يقول: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف / الآية ٦٦.
(٢) سورة هود / الآية ٢٧.
(٣) سورة الأعراف / الآية ٨٨.
(٤) سورة هود / الآية ٩١.
(٥) الفقيه والمتفقه / ج٢ / ص٢٧.
(٦) سورة المؤمنون / الآية ٩٦.
(٧) سورة الفرقان / الآية ٦٣.

المبحث السابع: الالتزام بالمصطلحات الشرعية

من الأمور التي يجب أن يهتم بها المحاور المسلم، الالتزام بالمصطلحات الشرعية، ذلك أن المصطلح له دلالة ومعنى محدد، فإن تغيير اللفظ ولو بشيء يسير يخلُّ بالمعنى.

كما أن الإتيان بمصطلحات أخرى حتى ولو كانت تحمل نفس المعنى يؤدي إلى خلل في دلالة المصطلح ومعناه الأصلي.

ومثال ذلك، دلالة كلمة الشورى فهي تختلف عن دلالة كلمة الديمقراطية، ومصطلح الأمة الإسلامية يختلف عن مصطلح الأمة العربية، ومصطلح الأحكام الشرعية يختلف عن مصطلح القوانين... وهكذا فإن لكل مصطلح دلالة يختلف عن دلالة الآخر.

ومن هنا نجد أن الشارع اهتم بالتركيز على دلالة المصطلح وحرص على عدم تغييره عن أصوله التي وجد لها، كما حرص على استعمال اللفظ المناسب للمعنى المراد بيانه، لهذا جاء النهي للمؤمنين باستخدام كلمة (راعنا) وأمرهم باستخدام كلمة (انظرنا)، لأن اليهود بخبثهم وحقدهم على الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا ينادونه براعنا ويقصدون المعنى الخبيث من الكلمة وهو الرعونة، فلما استخدم المسلمون ذلك اللفظ وكانوا يقصدون المعنى الصحيح منه أي: راعِ أحوالنا، نهاهم الله عن استخدام هذه الكلمة سداً للذرائع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

وحول مدلول الآية، يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: (كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين راعنا، أي راع أحوالنا فيقصدون بها معنى صحيحاً. وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم. وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش واحتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال: وقولوا انظرنا[2]).

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٠٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ج١ / ص١٢٠ - ١٢١.

ومن صور التلاعب بالألفاظ ما حدث مع اليهود عندما دخلوا على الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا له السامُ عليكم ويقصدون الموت.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، ففهمتها فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: فقد قلت عليكم)[١].

من أجل هذا نجد أن الشارع أولى المصطلحات الشرعية عناية خاصة وحذر من مغبة التلاعب فيها لما يترتب على ذلك من تغيير للحقائق واحتيال على الأحكام الشرعية. ومثال ذلك إنكار الله سبحانه وتعالى على مستحلي الربا عندما قالوا إنما البيع مثل الربا، حيث جمعوا بين ما أحل الله وبين ما حرم الله واستباحوا بذلك الربا. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٢].

وبعض الناس يحرفون ويغيرون المصطلحات الشرعية ليستحلوا ما حرم الله كتسمية الرشوة (عمولة) وتسميه الخمر (مشروبات روحية)... وهكذا.

وهذا ما أخبر به الصادق الأمين نبينا محمد ﷺ حيث قال: (ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)[٣].

يضاف إلى ما سبق فإن هناك مصطلحات شرعية متعارف عليها بين المسلمين لا يجوز تغييرها، وإلا اختل المعنى المراد، بل أحياناً يختل المعنى نتيجة لتقديم الكلمة أو تأخيرها، ومثال ذلك، فإن تحية المسلم لأخيه السلام عليكم بخلاف عليك السلام فإنها تحية الموتى، فقد جاء في مسند الإمام أحمد -رحمه الله- عن أبي جري الهجيمي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله، قال: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى)[٤].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / ج١١ / ص٤١ - ٤٢.

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٧٥.

(٣) مسند الإمام أحمد / ج٥ / ص٣٤٢.

(٤) المصدر السابق / ج٣ / ص٤٨٢ وانظر سنن أبي داود / ج٤ / ص٣٥٣.

وبناء على ما سبق يجب على المحاور مراعاة الالتزام بالمصطلحات الشرعية أثناء حواره خصوصاً المصطلحات التي جاءت بها النصوص الشرعية مثل لفظ الزكاة والربا والخمر والشورى والقصاص لما لهذه المصطلحات من دلالات ومعان ثابتة متعارف عليها بين علماء المسلمين، وأن أي تغيير أو تحريف أو تبديل يؤدي إلى فقدان معانيها ودلالة أحكامها واختلال في الثوابت المتعارف عليها.

المبحث الثامن: ترتيب الأفكار وحسن العرض

ترتيب الأفكار، وفصاحة اللسان، وقوة البيان، وحسن العرض من العوامل التي تؤدي إلى نجاح الحوار، من أجل ذلك ينبغي على كل محاور الاهتمام بترتيب الأفكار وحسن العرض، لأن تشابك الأفكار وتداخلها يشوشان على السامع، بل يجعلانه في حيرة من أمره فلا يدري بداية الفكرة من نهايتها، كما لا يستطيع التمييز والفصل بين الأفكار.

يضاف إلى ما سبق أن الفكرة مهما كانت صحيحة وقيّمة إذا لم يحسن صاحبها حسن عرضها فإنها ستفقد قيمتها، وبالمقابل فإن بعض الأفكار المنحرفة قد يكتب لها الظهور والنجاح بسبب قدرة صاحبها على حسن عرضها.

وكما جاء في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس: لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: (إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان سحر)[1].

وفي سنن أبي داود، (قال صعصعة بن صوحان: صدق نبي الله ﷺ: أما قوله (إن من البيان سحراً) فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق)[2].

وإذا كان حسن العرض يرغّب الناس ويشوقهم إلى الاستماع ويترك آثاراً طيبة في نفوسهم، فإن الخلط بين الأفكار يسبب نفوراً في نفوس الناس كما يسبب الملل والسآمة، لذلك نجد أن رسول الله ﷺ أوقف خطيباً عن إتمام خطبته لأنه لم يوفق في حسن عرضها وفق الضوابط

(١) صحيح البخاري / ج٤ / ص١٨٤١.
(٢) سنن أبي داود / ج٤ / ص٣٠٣.

الشرعية، فعن عدي بن حاتم، أن خطيباً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رَشِدَ ومن يعصهما، فقال: قم أو قال (أذهب فبئس الخطيب أنت) (١).

والمحاور الناجح هو الذي يتأسى بأسلوب القرآن الكريم في دقته المتناهية في ترتيب الأفكار وجودته الفائقة الرفيعة في حسن العرض، وعلى سبيل الذكر لا الحصر، نجد أن القرآن الكريم في معرض رده على منكري البعث والنشور جاء بأدلة حسية تظهر قدرة الله سبحانه وتعالى على خلق الإنسان من ماء مهين ثم تحويله من علقه إلى مضغة... إلى أتم صورة وأحسن تقويم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾(٢). كل ذلك من أجل أن يلزم الله سبحانه وتعالى منكري البعث والنشور على الإذعان والتسليم بقدرة الله على إحياء الموتى، إذ كيف يعجز الله عن البعث والنشور وهو الذي خلقنا من ماء مهين، فدلالة الخلق ونقل الإنسان من مرحلة إلى أخرى ـ وهو أمر محسوس لا ينكره إلا مكابرٌ ومعاند ـ يدل على قدرة الله على البعث والنشور. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(٤).

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه)(٥).

---

(١) سنن أبي داود / ج٤ / ص٢٩٦.

(٢) سورة التين / الآية ٤.

(٣) سورة الحج / الآيات ٥ - ٧.

(٤) سورة القيامة / الآيات ٣٧ - ٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير / ج٤ / ص٤٥٢.

كذلك كان أسلوب رسول الله ﷺ البليغ وحسن عرضه يتركان أثراً عظيماً في نفس المتلقي، من ذلك موقفه عليه الصلاة والسلام من الغلام الذي طلب من الرسول أن يأذن له بالزنا، عندها قام القوم ليزجروه، فطلب منهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالكف عن ذلك، وقرب الغلام منه، وأخذ عليه الصلاة والسلام يبين للغلام، الجانب السلبي والبعد النفسي للزنى في نفوس المحارم وكيف أنهم يمقتونه، مما جعل الغلام ينفر من الزنى ولا يلتفت إليه، ولكي ينفّر الغلام من هذه الفاحشة، بدأ عليه الصلاة والسلام بقوله (أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال أفتحبه لابنتك، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أفتحبه لعمتك، قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1].

ومن نماذج تسلسل الأفكار وحسن عرضها ما حدث مع جعفر بن أبي طالب ﷺ مع النجاشي ملك الحبشة، فعندما هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، أرسلت قريش خلفهم رجلين جلدين منهم ليردوهم وهما عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، وحملا معهما الهدايا لتسهيل مهامهما، وعندما قابلا النجاشي ذكرا المسلمين المهاجرين بسوء... وعندما طلب النجاشي مقابلة المهاجرين المسلمين للتعرف على دينهم، قال له جعفر ﷺ: (أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا

(١) مسند الإمام أحمد / ج٥ / ص٢٥٧.

به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك... فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته... ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما)[1].

ومن النماذج التي تدل على حسن العرض شكوى خولة بنت ثعلبة زوجها (أوس بن الصامت) إلى رسول الله ﷺ حيث قالت: (يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك[2]، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[3].

ونختم هذه النماذج لفكرٍ اتسم بالسلاسة وجودة العرض وحسن البيان، ذلك هو كلام وافدة النساء أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها فعندما أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه قالت: (بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء إليك، واعلم نفسي لك الفداء أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله وقال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة

---

(١) السيرة النبوية / ابن هشام / ج١ / ص٣٥٨-٣٦٠.

(٢) سنن ابن ماجه / ج١ / ص١٦٦.

(٣) سورة المجادلة / الآية ١.

تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها وقال لها: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً، رواه ابن منده وأبو أحمد الحاكم)[1].

هذه نماذج تظهر لنا بصورة جلية أثر ترتيب الأفكار وحسن عرضها على الآخرين وكم هناك أناس أقبلوا على خطيب جمعة من كل حدب وصوب لسلاسة فكره وحسن عرضه، وبالمقابل كم هناك أناس انفضوا من حول واعظ لسوء عرضه واضطراب أفكاره.

فعلى كل محاور أن يرتب أفكاره ويحسن عرضها بما يناسب عقول الناس ومستواهم كي يحقق الهدف المنشود من حواره.

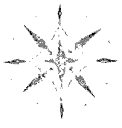

(١) تهذيب تاريخ دمشق الكبير / الإمام الحافظ ابن عساكر / ج٧ / ص٤٤٠.

الفصل الثاني

صفات المحاور ويشمل بحوثاً عدة

المبحث الأول: التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس

المحاور الناجح هو الذي يحرص حرصاً شديداً على دفع الباطل وإيضاح الحق والوصول إليه، سواء تحقق هذا الهدف عن طريقه أو طريق غيره، أما الانتصار للنفس وإظهار الخصومة والمغالبة والتعصب للرأي، فمثل هذه الأمور تؤدي إلى إفشال الحوار وسقوطه.

من أجل ذلك نجد أن العلماء يوصون كل مناظر بإخلاص النية لله والتجرد في طلب الحق، من ذلك قول الإمام الجويني -رحمه الله- (على الناظر أن يقصد التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وطلب مرضاته في امتثال أمره سبحانه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الحق عن الباطل وعما يخبر فيه ويبالغ قدر طاقته في البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيق الباطل، ويتقي الله أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه والتكسب والمماراة والمحك والرياء ويحذر ألم عقاب الله سبحانه، ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر، فإنه من دأب الأنعام الفحولة كالكباش والديكة)[1].

والتجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس له مظاهر عدة، منها:

---

(١) الكافية في الجدل / الإمام الجويني / ص٥٢٩.

١ ـ الوصول إلى الحق، سواء تم ذلك عن طريق المحاور أو عن طريق خصمه، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: (إن يكن في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته، فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به)[١].

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ وما ناظرت قط أحداً على الغلبة)[٢].

وقال رحمه الله: (ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبالِ بيّن الله الحق على لساني أو لسانه)[٣].

وروى الربيع أن الشافعي كتب هذه الأبيات إلى أبي يعقوب البويطي -رحمه الله- حثاً له على الإنصاف والاتصاف بالأخلاق الحميدة في المناظرة وهن:

إذا كنت ذا فضل وعلم ... بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر في سكون ... حليماً لا تلج ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان ... من النكت اللطيفة والنوادر
وإياك اللجوج ومن يرائي ... بأني قد غلبت ومن يفاخر
فإن الشر في جنبات هذا ... قمين بالتقاطع والتدابر[٤]

٢ ـ الرجوع إلى الحق وعدم المضي في الباطل، فالتجرد يقتضي الوقوف على الحق وعدم التردد في الرجوع عن الرأي إذا تبين لصاحبه عدم صوابه، ولنا في صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنه، فعندما خالف عمر بن الخطاب ﷺ بقية الصحابة في حقيقة وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بل هدد بالسيف وتوعد من يقول بموت رسول الله ﷺ، نجده سرعان ما رجع إلى الحق عندما تبين له، قال ابن هشام (لما توفي

(١) إحياء علوم الدين / الغزالي / ج١ / ص٤٤.
(٢) مناقب الإمام الشافعي / الرازي / ص٣٦٠.
(٣) المصدر السابق / ص ٣٦٠ - ٣٦١.
(٤) المصدر السابق / ص٣٦١ وانظر ديوان الإمام الشافعي / ص٣٣.

رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول اللهﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات)[١].

فلما جاء أبو بكر ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٢]... قال أبو هريرة، قال عمر، فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت -دهشت- حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات)[٣].

٣ ـ ومن التجرد في طلب الحق، أن يدخل المحاور ساحة الحوار بحثاً عن الحقيقة وليس لتقرير آراء سابقة يتعصب لها ويدافع عنها حتى ولو تبين له خطؤه، ولا يضير المحاور الاعتراف بالخطأ والتسليم للخصم، بل هذا دليل الثقة بالنفس وكمال العقل.

٤ ـ ومن التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس، إنصاف الطرف الآخر وذلك بالموافقة على أفكاره الصحيحة والتسليم بها وعدم الانتقاص منها بشيء، أو تحريفها أو تبديلها أو كتمانها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (وليس مما أمر الله به ورسوله ولا مما يرتضيه عاقل أن تقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء. وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم، إذ هم ـ ولله الحمد ـ أكمل الناس عقلاً، وأتمهم إدراكاً، وأصحهم ديناً وأشرفهم كتاباً وأفضلهم نبياً وأحسنهم شريعة)[٤].

---

(١) السيرة النبوية / ابن هشام / ج٤ / ص٣٣٤. وانظر القصة في الطبقات الكبرى / ابن سعد / ج٢/ ص٢٦٦.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٤٤.

(٣) السيرة النبوية / ابن هشام / ج٤ / ص٣٣٥.

(٤) درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية / ج٩ / ص٢٠٧.

٥ ـ ومن التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس، إشعار الطرف الآخر بالعدل والمساواة في البحث عن الحقيقة، ومثال ذلك، قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

وحول مدلول هذه الآيات، يقول صاحب الظلال: (وهذه غاية النصفة والاعتدال والأدب في الجدال، أن يقول رسول الله ﷺ للمشركين: إن أحدنا لابد أن يكون على هدى، والآخر لابد أن يكون على ضلال. ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال ليثير التدبر والتفكر في هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال والمحال، فإنما هو هاد ومعلم يبتغي هداهم وإرشادهم لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرد الإذلال والإفحام.

الجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والاستسلام وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة)[2].

٦ ـ ومن التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس عدم كتمان أي حق لدى الطرف الآخر، فإن كتمان الحق من الصفات القبيحة التي اتصف بها اليهود، وقد ذمهم الله -سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[4].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل، تمويهه وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل،... فنهاهم عن الشيئين معاً وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به)[5].

---

(١) سورة سبأ / الآيات ٢٤ - ٢٦.

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج٥ / ص٢٩٠٥.

(٣) سورة آل عمران / الآية ٧١.

(٤) سورة البقرة / الآية ٤٢.

(٥) تفسير ابن كثير / ج١ / ص٨٤.

فعلى كل محاور أن يخلص النية لله - سبحانه وتعالى - ويهدف من حواره طلب الحق ونصره وكشف الباطل وبيان فساده.

وإذا ظهر الحق على يد المخالف فيجب ألا تأخذه العزة بالإثم بل يعود إلى الحق فإن ذلك من خصال العقلاء ومن علامات التجرد في طلب الحق وعدم الانتصار للنفس.

المبحث الثاني: البعد عن التعصب وعدم مقابلة الباطل بالباطل

أولاً: البعد عن التعصب

التعصب هو رد الحق مع ظهور الدليل، وهو من الآفات التي تقوض الحوار وتهدمه.

وحول خطر التعصب يقول الإمام الغزالي -رحمه الله- (إن التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار)[1].

وقال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: (من آفات التعصب الماحقة لبركة العلم أن يكون طالب العلم قد قال بقول في مسألة كما يصدر ممن يفتي أو يصنف أو يناظر غيره ويشتهر ذلك القول عنه فإنه قد يصعب عليه الرجوع عنه إلى ما يخالفه وإن علم أنه الحق وتبين له فساد ما قاله. ولا سبب لهذا الاستصعاب إلا تأثير الدنيا على الدين، فإنه قد يسول له الشيطان أو النفس الأمارة أن ذلك ينقصه ويحط من رتبته ويخدش في تحقيقه ويغض من رئاسته، وهذا تخيل مختل وتسويل باطل فإن الرجوع إلى الحق هو يوجب له من الجلالة والنبالة وحسن الثناء مالا يكون في تصميمه على الباطل، بل ليس في التصميم على الباطل إلا محض النقص له والإزراء عليه والاستصغار لشأنه، فإن منهج الحق واضح المنار يفهمه أهل العلم ويعرفون براهينه ولاسيما عند المناظرة، فإذا زاغ عنه زائغ تعصباً لقول قد قاله أو رأي رآه فإنه لا محالة يكون عند من يطلع على ذلك من أهل العلم أحد رجلين، إما متعصب مجادل مكابر، إن كان له من الفهم والعلم ما يدرك به الحق ويتميز به الصواب، أو جاهل فاسد الفهم باطل التصور إن لم يكن له من العلم ما يتوصل به إلى معرفة بطلان ما صمم عليه وجادل عنه، وكلا هذين المطعنين فيه غاية الشين)[2].

---

(١) إحياء علوم الدين / ج١ / ص٤٠.

(٢) طلب العلم وطبقات المتعلمين / الشوكاني / ص٥٣ - ٥٤.

كما أن التعصب للرأي يدل على إعجاب صاحب الرأي برأيه، وهذا الأمر من الخصال التي ذمها رسول الله ﷺ، حيث قال: (... إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك به فعليك خويصة نفسك)[١].

ولخطورة التعصب وأثره على تفريق الأمة وتمزقها، وإثارة الشحناء والبغضاء بين النفوس، نجد عدة أحاديث تنهى عن العصبية، من ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام (دعوها فإنَّها منتنة)[٢].

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)[٣].

(وذم العصبية في الإسلام لا يقف عند حد العصبية القائمة على أساس المشاركة في القبيلة أو الجنس، وإنما تتعداها إلى كل عصبية قائمة على سبب آخر مادام جوهر العصبية موجوداً وهو نصرة الغير بالباطل بسبب هذه المشاركة وعلى هذا فانتصار أصحاب الإقليم الواحد أو الحرفة الواحدة أو المذهب الواحد بعضهم لبعض في الباطل هو من العصبية المقيتة المذمومة)[٤].

كما ينبغي لكل محاور أن يدرك أنه بشر يخطئ ويصيب، والعاقل هو الذي يعترف بخطئه إذا تبين له وجه الصواب، لذلك يجب عليه الرجوع إلى الحق فالرجوع إليه فضيلة لا ينقص من قدر صاحبه بل يزيده نبلاً ومكرمة.

أما التعصب للرأي على الرغم من بيان بطلانه فإنه من المكابرة والمعاندة والخصال الذميمة التي تزري بصاحبها وتحط من شأنه.

---

(١) سنن ابن ماجة / ج٢ / ص١٣٣١.

(٢) صحيح مسلم / ج٤ / ص١٩٩٩.

(٣) سنن أبي داود / ج٤ / ص٣٣٢.

(٤) أصول الدعوة / د. عبدالكريم زيدان / ص١٠٧.

ثانياً: عدم مقابلة الباطل بالباطل

المحاور الناجح هو الذي يدفع بالتي هي أحسن، ولا يقابل السيئة بمثلها، وليس ذلك عن ضعف أو استكانة، فالمؤمن عزيز كريم يأبى الضيم ويرفض الذل، وإنما يدفع بالتي هي أحسن امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾[١].

وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[٢].

يقول ابن عباس في تفسير الآية: (ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك)[٣].

ويروى عنه أيضاً: (أمر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم)[٤].

وعدم مقابلة الباطل بمثله من خصال نبينا محمد ﷺ، فعندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: (لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[٥].

فالكلمة الطيبة تردُّ النفوس الجامحة إلى الهدوء، وتحول الخصومة إلى مودة ولو قوبل الباطل بباطل والغضب بمثله، لازداد الأمر سوءاً وتعطلت لغة الحوار، وانعدم الخير بين الناس، وتحول المجتمع إلى غابة من الصراع لا ضابط ولا رابط لها.

فالمسامحة مطلوبة لدرء المفاسد (غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد. وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها، حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفاً ولئن أحس أنه ضعف لم يحترمه، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقاً.

---

(١) سورة الفرقان / الآية ٦٣.

(٢) سورة فصلت / الآية ٣٤.

(٣) تفسر القرطبي / ج١٥ / ص٣٦١.

(٤) فتح القدير / الشوكاني / ج٤ / ص٥١٧.

(٥) سنن الترمذي / ج٤ / ص٣٢٤. قال أبو عيسى - رحمه الله -: حديث حسن صحيح.

وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية، لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها. فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها، أو الصبر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً)[١].

وحول عدم مقابلة الباطل بمثله، قال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: وإن ندرت من خصمه في جداله كلمةٌ كرهها أغضى عليها ولم يجازه بمثلها)[٢].

فمقابلة المسيء بالإحسان والحلم على جهل الآخرين، والدفع بالتي هي أحسن - مع القدرة التامة على الإساءة والرد بالمثل - كل هذه الأمور تدل على كمال الخلق واتزان العقل. كما أنها تنقذ الحوار من التخبط والانزلاق نحو مالا تحمد عقباه.

المبحث الثالث: البعد عن المبالغات والتهويل

المحاور الحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه، ويعطى كل شيء حقه من الاهتمام دون إفراط أو تفريط.

ومن مظاهر الحوار الناجح البعد عن المبالغات والتهويل، ذلك أن تهويل الأمور الصغيرة يفقد الحوار مصداقيته وجديَّته.

كما أن بعض الناس قد تستهويه جزئية صغيرة، ويجعل منها قضية كبيرة فيغرق في الحوار فيها ويبالغ ويجعلها أم القضايا، مع أنها لا تستحق كل ذلك الإغراق.

ومثال المبالغة والتهويل، ما جنح إليه بعض المفكرين من تضخيم خطر اليهود على الأمة الإسلامية، حتى وصل الأمر إلى إرجاع كل ضعف ووهن ومصيبة حلت بالأمة الإسلامية إلى اليهود.

ومع التسليم المطلق أن اليهود هم أساطين الفساد في الأرض ويسعون فيها فساداً قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[٣]. كما أنهم يسعون إلى تقويض

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج٥ / ص٣١٢٢.
(٢) كتاب الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي. ج٢ / ص٢٧.
(٣) سورة المائدة / الآية ٦٤.

الأمة الإسلامية والقضاء عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[١].

يضاف إلى ما سبق أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[٢].

غير أن ضعف الأمة الإسلامية وتشرذمها لا يعود إلى خطر اليهود فحسب بل يعود إلى أسباب عديدة من بينها تخطيط اليهود ومكرهم وكيدهم. ولو أن الأمة الإسلامية تحصنت بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لما استطاع اليهود وغيرهم أن يؤثروا فيها.

ولكن عندما ابتعدت الأمة عن منهج الله، وعطلت أحكام الله، وجاهرت بالمعصية واقترفت الذنوب حاق بها ما حاق من تفكك وضعف وانحلال، فاستغل اليهود وغيرهم ذلك فعاثوا في الأرض مفسدين.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[٤].

قال الشيخ السعدي في تفسيره: (يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم، وفيما يحبون، ويكون عزيزاً عليهم إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات)[٥].

فليس كل مصيبة حلت بالأمة الإسلامية سببها أعداء الله وعلى رأسهم اليهود وإنما ضعف الأمة يعود لأسباب عدة -كما سبق ذكرهُ- ولعل أقوى الأسباب هو تخليها عن منهج الله.

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢١٧.

(٢) سورة المائدة / الآية ٨٢.

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٦٥.

(٤) سورة الشورى / الآية ٣٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن / ج٦ / ص٦١٨.

ومثال آخر للتهويل والمبالغات، حماس بعض الكتاب لتفسير كتاب الله تفسيراً عصرياً -كما يحلو لبعضهم- أو بالإعجاز العلمي، حيث حملّوا النصوص القرآنية مالا تحتمل، من ذلك ما ذكره بعضهم حول قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[١].

حيث قال: كيف تحمل ثمانية من الملائكة عرش الله...؟ أم هي ثمانية صفوف كل صف فيه مالا نهاية من الملائكة أم هي ثمانية قوانين فيزيقية أو ميتافيزيقية لا أحد يعلم... ولعلها كائنات كهرمغنطيسية هائلة)[٢].

ويفسر آخر قول الله -عز وجل-: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[٣].

فيقول: (إن النفس هي البروتون، وإن زوجها هو الإلكترون، وهما العنصران اللذان تتكون منهما الذرة)[٤].

ثم يضيف قائلاً: (وهذه الحقيقة العلمية التي يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة في صراحة ووضوح)[٥].

ونسي هؤلاء النفر الذين بالغوا في التفسير العلمي للقرآن الكريم، أن هناك فرقاً كبيراً بين النظريات العلمية والحقائق العلمية، فالحقيقة العلمية هي التي لا تقبل التغيير أو التبديل أو التعديل أو الإضافة أو النقصان ومثل هذه الأمور لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتعارض مع القرآن الكريم.

أما النظريات العلمية فهي قابلة للخطأ والصواب والتغيير والتبديل والإضافة والزيادة فكيف يقصر النص القرآني على مثل هذه النظريات؟ وماذا تكون النتيجة في حالة إثبات بطلانها فيما بعد؟ ألا يؤدي ذلك إلى التشكيك في كتاب الله -عز وجل-؟.

---

(١) سورة الحاقة / الآية ١٧.

(٢) القرآن ... محاولة لفهم عصري / مصطفى محمود / ص١٦٢.

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٨٩.

(٤) القرآن والعلم الحديث / عبدالرزاق نوفل / ص١٣٦.

(٥) المصدر السابق / ص١٣٦.

يقول صاحب الظلال: (والذي ننبه إليه بشدة هو ضرورة عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للخطأ والصواب، وقابل للتعديل والتبديل، كلما اتسعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت وسائله للمعرفة، فإن بعض المخلصين من الباحثين يسارعون إلى المطابقة بين مدلول النصوص القرآنية والكشوف العلمية - تجريبية أو افتراضية - بنية بيان ما في القرآن من إعجاز. فالقرآن معجز سواء طابقت الكشوف العلمية المتأرجحة نصوصه الثابتة أم لم تطابقها، ونصوصه أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق تلك الكشوف القابلة دائماً للتبديل والتعديل بل للخطأ والصواب من الأساس.

وكل ما يستفاد من الكشوف العلمية في تفسير نصوص القرآن هو توسيع مدلولها في تصورنا كلما أطلعنا العلمُ على شيء مما تشير إليه إشارات مجملة من آيات الله في الأنفس والآفاق دون أن يحمل النص القرآني على أن مدلوله هو هذا الذي كشفه العلم، إنما جواز أن يكون هذا بعض ما يشير إليه)[١].

فإذا أراد المحاور كسب احترام الناس وثقتهم، فعليه أن يبتعد عن المبالغات والتهويل وأن يعطي كل أمر حقه بصدق وأمانة وتثبت وأن يضع نصب عينية قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[٢].

قال قتادة -رحمه الله-: (لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله، ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم)[٣].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى نهى عن هذه الأمور، كذلك الشأن في التهويل والمبالغات فإنها تخالف التثبت والأمانة العلمية ومسؤولية الحواس، لذلك ينبغي على كل محاور أن يتجنبها ويبتعد عنها.

---

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج٦ / ص٣٤٥١.

(٢) سورة الإسراء / الآية ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير / ج٣ / ص٣٩.

المبحث الرابع: ضبط النفس والهدوء والصبر والتواضع

المحاور الناجح هو الذي يتسم بقوة الشخصية، ومقتضى ذلك ضبط النفس والهدوء مع التواضع وخفض الجناح، قال عليه الصلاة والسلام: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[١].

ومادام الحوار يدور حول وجهات نظر متباينة بين طرفين، فاحتمال تخطئة الخصم أو تضعيف رأيه أو رفضه يؤدي إلى إثارة الغضب، فيترتب على ذلك استعمال كلمات جارحة مما يخرج الحوار عن منهجيته إلى صراع وتحدٍ وإفحام.

لذلك ينبغي على المتحاورين ضبط النفس امتثالاً لقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٢].

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: (خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم وأمر بالعرف أي المعروف)[٣].

كذلك ينبغي على المحاور أن يتخلق بخلق رسول الله ﷺ، حيث وصف أنس رضي الله عنه خلق الرسول بقوله: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً)[٤].

فالبعد عن هذه الخصال الذميمة يدل على ضبط النفس وحسن الخلق.

أما السب والشتم -لاسيما في الحوار- فهما من خصال الإنسان الضعيف العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (إن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد، والإنسان لو أنه يناظر المشركين وأهل الكتاب، لكان عليه أن يذكر من الحجة مايبين به الحق الذي معه، والباطل الذي معهم)[٥].

---

(١) صحيح مسلم / ج٤ / ص ٢٠١٤.

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٩٩.

(٣) تفسير الطبري / ج١٣ / ص٣٢٩ ، ص٣٣١.

(٤) صحيح البخاري / ج٤ / ص١٩١٠.

(٥) مجموع الفتاوى / ج٤ / ص١٨٦.

كما أنّ الهدوء والسيطرة على النفس يضفيان على المحاور الثقة بما عنده والقدرة على بسط آرائه بيسر وسهوله.

كذلك تجعل المحاور يحسن الاستماع للآخرين ويستوعب ما لديهم من آراء، فيميز بين ما يمكن إقراره وبين ما يجب رده بطريقة ملائمة. أما سرعة الانفعال والتوتر العصبي والهيجان، فكل هذه الأمور تؤدي إلى إفشال الحوار وإسقاطه، كذلك ينبغي على المحاور أن يتحلى بالصبر، فقد وصف الرسول عليه الصلاة والسلام الصبر بقوله: (والصبر ضياء)[١].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (والمراد أن الصبر محمود، ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب)[٢].

وشتان بين محاور يسير بخطى ثابتة في طريق مضيء وبين آخر يسير متخبطاً في طريق مظلم، ومن مستلزمات الصبر عدم التعجل في الحكم على فكر الآخرين قبل أن ينتهوا من إتمام كلامهم، فربما كان في آخر الكلام ما يفي بالغرض.

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (وإذا وقع له -للمناظر- شيء في أول كلام الخصم فلا يعجل بالحكم به فربما كان في آخره ما يبين الغرض بخلاف الواقع له، فينبغي أن يتثبت إلى أن ينقضي الكلام)[٣].

ومن مستلزمات الصبر عدم مقاطعة الطرف الآخر، وإتاحة الفرصة له بالكامل لإتمام حديثه، فهذا من أدب الحوار، قال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (وليتق المناظر مداخلة خصمه في كلامه وتقطيعه عليه وإظهار التعجب منه وليمكنه من إيراد حجته فإنما يفعل ذلك المبطلون والضعفاء)[٤].

كما ينبغي على المحاور أن يتحلى بالتواضع، وهو من الأخلاق الحسنة التي حث عليها الإسلام، فقد وردت نصوص عدة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تحث على التواضع،

---

(١) صحيح مسلم / ج١ / ص٢٠٣.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / ج٣ / ص١٠١.
(٣) كتاب الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي / ج٢ / ص٣١.
(٤) المصدر السابق / ج٢ / ص٣٥.

من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[١]، وقال جل وعلا: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[٣].

قال صاحب الظلال حول مدلول قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: (هي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين... فالمؤمن ذلول للمؤمن... غير عصي عليه ولا صعب. هين لين... ميسر مستجيب... سمح ودود... وهذه الذلة للمؤمنين.

وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة، إنما هي الأخوة، ترفع الحواجز وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس، فلا يبقى فيها ما يستعصى وما يحتجز دون الآخرين)[٤].

كذلك وردت أحاديث عدة تحث على التواضع، من ذلك قوله ﷺ: (إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[٦].

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام ما جاء في صحيح مسلم، عن أبي رفاعة قال: (انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب. قال فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه، قال، فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديداً، قال فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها)[٧].

---

(١) سورة الشعراء / الآية ٢١٥.
(٢) سورة الحجر / الآية ٨٨.
(٣) سورة المائدة / الآية ٥٤.
(٤) في ظلال القرآن / ج٢ / ص٩١٩.
(٥) صحيح مسلم / ج٤ / ص٢١٩٩.
(٦) صحيح مسلم / ج٤ / ص٢٠٠١.
(٧) صحيح مسلم / ج٢ / ص٥٩٧.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (فيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم)[١].

فخلق التواضع يؤدي إلى تأليف القلوب، وإزالة الحواجز النفسية بين المتحاورين ويقرب هوة الخلاف ويساعد على نجاح الحوار.

أما التكبر وازدراء الناس واحتقارهم، فمثل هذه الأمور تؤدي إلى النفرة والكراهية، بل تؤدي إلى العداوة والبغضاء، فالناس جبلوا على حب من يحسن إليهم ويتواضع لهم وكراهية كل متكبر متغطرس.

كما أن التواضع يدفع صاحبه إلى قبول الحق كائناً من كان قائله، بخلاف المتكبر فإنه يرد الحق، ولا أدل على ذلك من عصيان إبليس لأمر الله سبحانه وتعالى عندما أمره أن يسجد لآدم، فأبى واستكبر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس)[٣].

كذلك منع الكبر رجلاً من طاعة رسول الله والامتثال لأمرة ﷺ عندما أمره أن يأكل بيمينه ففي صحيح مسلم (أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: كل بيمينك قال: لا أستطيع قال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر قال: فما رفعها إلى فيه)[٤].

لذلك ينبغي على كل محاور أن يتواضع لله وأن يتحلى بضبط النفس والهدوء والصبر كي يحقق الهدف المنشود من الحوار وهو الوصول للحق وإعلاء كلمة الله.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / ج٦ / ص١٦٥.
(٢) سورة البقرة / الآية ٣٤.
(٣) تفسير ابن كثير / ج١ / ص٧٨.
(٤) صحيح مسلم / ج٣ / ص١٥٩٩.

المبحث الخامس: الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ

ينبغي لكل محاور أن يدرك أنه بشر يخطئ ويصيب ولا عصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والمحاور الناجح هو الذي يسلِّم بخطئه إذا ما تبين له وجه الصواب ويثوب إلى الحق امتثالاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[١].

والاعتراف بالخطأ، وإن كان فيه صعوبة على النفس غير أنه يدل على التجرد لله والإخلاص له، كما يدل على قوة الشخص وشجاعته والحرص الشديد على الوصول إلى الحق.

بخلاف الإصرار على الخطأ فإنه يدل على المكابرة والعناد كما أنه يفقد الشخص مصداقيته واحترامه عند الآخرين.

والمتأمل في كتاب الله يجد أن الرجوع للحق من خصال الملائكة الأبرار والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ففي حوار الله مع الملائكة حول خلق آدم وذريته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[٢].

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: (فلما اتّضح لهم موضع خطأ قولهم، وبدت لهم هفوة زلتهم، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، فسارعوا الرجعة من الهفوة، وبادروا الإنابة من الزلة)[٣].

ومن أمثلة الإنابة للحق، ما حدث مع نبي الله نوح عليه السلام، عندما سأل الله أن ينقذ ابنه من الغرق والهلاك تحقيقاً لوعد الله، وقد غرق ابنه، فبين الله سبحانه وتعالى أنه ليس من

---

(١) مسند الإمام أحمد / ج٣ / ص١٩٨.

(٢) سورة البقرة / الآيات ٣٠ - ٣٢.

(٣) تفسير الطبري / ج١ / ص٤٩٢.

أهل دينه الذين وعد الله نجاتهم. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

عندئذٍ توجه نوح عليه السلام إلى ربه منيباً فقال - كما ذكر - سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: (يقول تعالى ذكره، مخبراً نبيه محمداً ﷺ عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته في مسألته التي سألها ربه في ابنه: (قال رب إني أعوذ بك) أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه وطويت علمه عن خلقك فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك أكن من الخاسرين، يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا)[3].

ومن صور الرجوع للحق والاعتراف بالخطأ، ما حدث مع إخوه يوسف عليه السلام، وذلك بقولهم - كما جاء في سورة يوسف- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾[4]. فقد اعترفوا بالخطأ وأقروا بالذنب.

كذلك الشأن مع امرأة العزيز، حين اعترفت بخطئها، وأنها هي التي راودت يوسف عليه السلام، وأنه بريء من التهمة التي بسببها مكث في السجن بضع سنين، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[5].

ومن أمثلة الرجوع للحق والتسليم بالخطأ، ما حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما عزم على تقليل مهور النساء، حيث قال: (لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية.... فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صفِّ النساء، طويلة في

---

(١) سورة هود / الآية ٤٦.

(٢) سورة هود / الآية ٤٧.

(٣) تفسير الطبري / ج١٥ / ص٣٥٢.

(٤) سورة يوسف / الآية ٩١.

(٥) سورة يوسف / الآية ٥١.

أنفها فطس: ما ذاك لك. قال: ولم. قالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾[١]. فقال عمر، رضوان الله عليه: (امرأة أصابت، ورجل أخطأ)[٢].

فمن الطبيعي إذاً أن يخطئ الإنسان في حواره ومناقشاته مع غيره، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه عندما يتبين له وجه الحق، فهاهم ملائكة الله الأبرار ورسل الله الكرام وأصحاب رسول الله ﷺ العظام يعترفون بخطئهم ويثوبون إلى الحق، وفي ذلك دلالة عظيمة على حرصهم الشديد على الوصول إليه. وإخلاصهم لله العلي العظيم، فعلى كل محاور التأسي بهؤلاء الصفوة والاعتراف بخطئه حالما، يتبين له وجه الصواب.

ولاشك أن (التسليم بالخطأ صعب على الإنسان الذي لم يعتد عليه خاصة إذا أخطأ أمام جمع، فإنه يشعر بالحرج والخجل الشديدين من خطئه، والتسليم بالخطأ يحتاج إلى شجاعة أدبية، وقوة نفسيه ومجاهدة للنفس، ولكن الإنسان متى اعتاده وجد له حلاوة قد تقارب أحياناً حلاوة الفوز والنصر. والتسليم بالخطأ -بخلاف ما يظن المخطئ أول وهلة- يكسب صاحبه احترام الثاني وتقديره على عكس الإصرار على الخطأ الذي يفقده احترام الثاني له، كما يفقده احترام نفسه)[٣].

ونختم هذا البحث بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ، في كتابه بشأن القضاء، حيث قال: (ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)[٤].

هذه مواقف متعددة تبين لنا ضرورة التسليم بالخطأ والرجوع إلى الحق، وإن التخلق بذلك من القواعد المهمة والآداب الرفيعة لنجاح الحوار، لأن الرجوع إلى الحق يدل على التجرد والإخلاص والحرص الشديد على طلبه وإحقاقه.

---

(١) سورة النساء / الآية ٢٠.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب / ابن الجوزي / ص١٤٩.

(٣) في أصول الحوار / الندوة العالمية للشباب الإسلامي / ص٥١.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين / ابن قيم الجوزية / ج١ / ص٨٦.

المبحث السادس: البعد عن التحدي والإفحام

من الآفات التي يلجأ إليها بعض المتحاورين الحرص الشديد على إفحام محاوره، ومحاولة إعجازه عن الإجابة.

وهذا الأسلوب يؤدي إلى تهييج النفوس وإثارة المشاعر، كما أنه يورث العداوة والبغضاء.

والمحاور الناجح هو الذي يحرص على كسب القلوب أكثر مما يحرص على كسب المواقف، كما أن المسلم مطالب بالقول الحسن والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾[2] ومقتضى القول الحسن، التلطف مع الغير والرفق واللين، بخلاف التحدي والإفحام فإنهما يتركان في النفس الحقد والغيظ.

وعلاوة على ما سبق، فإن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق وهداية الناس واستمالة قلوبهم، وهذا يقتضي تجنب التحدي والإفحام لاسيما أمام الآخرين، فإنه يؤدي إلى المعاندة والمكابرة.

لذلك ينبغي على كل محاور أن يحرص كل الحرص على تجنب التحدي والإفحام. ولا يعني ما سبق ذكره ترك التحدي والإفحام في الأحوال جميعها، فهناك مواقف تقتضي استخدام هذا الأسلوب إذا اقتضت المصلحة ذلك، فالخصم اللدود، والإنسان المكابر المعاند، ومثير الشبه والبدع والهازئ الساخر، فهؤلاء وأمثالهم ينبغي إفحامهم ودحض أقوالهم وإسقاط دعواهم أمام الناس، كي يسقط الباطل مدحوراً أمام عيون الناس.

ولنا في أنبياء الله أسوة حسنة، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما وجد النمرود يجادل ويكابر ويراوغ في توحيد الله وربوبيته، ساق عليه السلام من الأدلة والبراهين ما فيها إلزام وتحدٍ له، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ

---

(١) سورة البقرة / الآية ٨٣.

(٢) سورة العنكبوت / الآية ٤٦.

رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذراته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إلهاً كما تدعي تحيي وتميت فأتِ بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي أُخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة)[2].

ومن هذا القبيل جاء التحدي القرآني للمشركين عندما شككوا في نسبة القرآن لله سبحانه وتعالى، حيث زعموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما كان يعلّمه غلام أعجمي كان يعيش بين أظهرهم، وكان بياعاً يبيع عند الصفا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

وتارة يفترون بزعمهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام جمع أخبار الأمم الماضية واكتتبها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[4].

فجاء الرد القرآني يدحض دعواهم، وذلك بتحديهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[5]، بل تحداهم القرآن على أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[6].

ولم يكتف القرآن بتحدي الإنس فحسب، بل أعلن تحديه للثقلين الجن والإنس على أن يأتيا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[7].

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٥٨.
(٢) تفسير ابن كثير / ج١ / ص٣١٣.
(٣) سورة النحل / الآية ١٠٣.
(٤) سورة الفرقان / الآية ٥.
(٥) سورة هود / الآية ١٣.
(٦) سورة البقرة / الآية ٢٤.
(٧) سورة الإسراء / الآية ٨٨.

وهكذا تحداهم القرآن فعجزوا عن معارضته وهم أهل الفصاحة واللسان، فثبت الإعجاز، وبطلت دعواهم بأن القرآن من وضع البشر، وإنما هو كلام الله الذي لا نظير له ولا شبيه.

ومن أمثلة استخدام أسلوب التحدي والإفحام من أجل نصرة الحق وتحجيم الباطل ما حدث مع الإمام الباقلاني -رحمه الله- في محاورته مع النصارى، حيث سأله أحد الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: (كيف جرى لزوجة نبيكم -يقصد توبيخاً- ما كان من أمرها بما رميت به من الإفك، فقال الباقلاني: هما أمرأتان ذكرتا بسوء مريم وعائشة فبرأهما الله عز وجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج، -أي أن عائشة أولى بالبراءة من مريم- وكلاهما بريئة مما قيل فيها، فأفحمه)[١].

وفي مجلس آخر دخل رئيس أساقفة النصارى، فلما توسط المجلس قام له ملكهم ورجاله تعظيماً له، وأجلسه الملك إلى جنبه، ثم أقبل على القاضي أبي بكر الباقلاني وقال له: يا فقيه هذا البطرك قيم الديانة وولي النحلة، فسلم القاضي عليه وقال له: كيف الأهل والأولاد؟ (فقال الملك: مه أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا؟ فقال القاضي: تنزهونه عن هذا ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحبة والولد!)[٢].

فهذا الأسلوب من التحدي والإفحام إنما يستخدم في حالات معينة، من أجل إحقاق الحق ودفع الباطل، وإن كان الأصل في الحوار إتباع جانب الرفق واللين والقول الحسن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٣].

المبحث السابع: عدم رفع الصوت

المحاور الناجح هو الذي يتحلى بمكارم الأخلاق، ومن بين ذلك غضّ من الصوت، ومخاطبة الناس بقدر ما يحتاجون إليه من سماع، فإن رفع الصوت فوق الحاجة وفيما لا فائدة منه يدل على الرعونة.

---

(١) انظر القصة / سيرة أعلام النبلاء / ج١٧ / ص١٩٢ / والبداية والنهاية / ج١١ / ص٣٥٠.
(٢) سير أعلام النبلاء / ج١٧ / ص ١٩١ - ١٩٢.
(٣) سورة النحل / الآية ١٢٥.

والمتأمل في وصايا لقمان الحكيم لابنه يجد النهي عن رفع الصوت فيما لا فائدة منه، قال تعالى:﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه)[٢].

وقال مجاهد -رحمه الله -: (إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمّه غاية الذم)[٣].

وحول مدلول الآية يقول صاحب الظلال -رحمه الله-: (والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. ومايزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق)[٤].

لهذا نجد أن بعض الناس يستخدم الصوت العالي لتغطية عيوبه، أو لشعوره بالفشل أو لعدم قدرته على مقارعة الحجة بالحجة فيستر هذا العجز بالصراخ ليوهم الآخرين بقوة حجته الواهية.

على عكس صاحب الصوت الهادئ فإنه يدل على اتزان العقل وقوة الحجة والثقة بالنفس. والمتأمل في البحر يلاحظ أن (الصخب والضجيج على الشاطئ عند الصخور حيث الماء ضحل لا جواهر فيه ولا درر، وتجد الهدوء لدى الماء الأعمق حيث نفائس البحر وكنوزه)[٥].

وحرصاً على هذا الخلق الرفيع نجد كثرة وصايا العلماء بالغض من الصوت لاسيما في آداب المناظرة، من ذلك قول الخطيب البغدادي -رحمه الله- (ولا يرفع صوته في كلامه

---

(١) سورة لقمان / الآية ١٩.

(٢) تفسير ابن كثير / ج٣ / ص٤٤٦.

(٣) المصدر السابق / ج٣ / ص٤٤٦.

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج٥ / ص٢٧٩٠.

(٥) في أصول الحوار / الندوة العالمية / ص٧١.

عالياً فيشق حلقه ويحمي صدره ويقطعه وذلك من دواعي الغضب، وقد حُكي أن رجلاً من بني هاشم اسمه عبدالصمد تكلم عند المأمون فرفع صوته فقال له المأمون لا ترفع صوتك يا عبدالصمد إن الصواب في الأسد لا الأشد، ولا يُخفي صوته إخفاء لا يسمعه الحاضرون فلا يفيد شيئاً بل يكون مقتصداً بين ذلك)[١].

وقال رحمه الله: (وإن أفحش الخصم في جوابه وأحال في حجاجه فينبغي ألا يحتد عليه ليحذر من الصياح في وجهه والاستخفاف به فإن ذلك من أخلاق السفهاء ومن لا يتأدب بآداب العلماء)[٢].

وقال الإمام الجويني -رحمه الله-: (ويحذر رفع الصوت جهراً زائداً على مقدار الحاجة، فإنه يورث الحدة والضجر)[٣].

ورُوي أن المزني ناظره إنسان كثير الصياح، كثير الشغب، فقال المزني: (أخبرنا الشافعي أن أبا حنيفة ناظر رجلاً فكثر صياح أبي حنيفة فمر به رجل وقال: أخطأت يا أبا حنيفة. فقال أبو حنيفة: ما هذه المسألة؟ فقال: لا أدري. فقال أبو حنيفة: فكيف عرفت أني أخطأت؟ فقال الرجل: لأنك إذا أخطأت صِحْتَ، وإذا أصبت رفقت فعلمت أنك أخطأت، حيث رأيتك تصيح)[٤].

وحول هذا الأدب في المناظرة روى الإمام الشافعي هذه الأبيات:

إذا كنت ذا فضل وعلم
بما اختلف الأوائل والأواخر

فناظر من تناظر في سكون
حليماً لا تلج ولا تكابر

يفيدك ما استفاد بلا امتنان
من النكت اللطيفة والنوادر[٥]

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه / البغدادي / ج٢ / ص٢٨.

(٢) المصدر السابق / ج٢ / ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) الكافية في الجدل / ص٥٢٩.

(٤) مناقب الإمام الشافعي / فخر الدين الرازي / ص٣٦٠.

(٥) ديوان الإمام الشافعي / ص٣٣.

كما أن الغض من الصوت يدل على هدوء النفس واتزانها وهذا يتفق مع مجالس العلم التي تتسم بالسكينة والوقار، بخلاف رفع الصوت، فإنه يدل على الانفعال والغضب، ومثل هذه الأمور تتعارض مع وقار العلم وآداب المناظرة.

لذلك ينبغي على كل محاور أن يتحلى بهذا الخلق الحميد، وعليه أن يتذكر دائماً أنه بالقدر الذي يحافظ به على ضبط أعصابه وحسن سمته ووقاره والغض من صوته وهدوء نفسه ينال احترام الآخرين وثقتهم.

المبحث الثامن: الرفق بالمقابل

من الأخلاق الرفيعة التي حث عليها الإسلام الرفق بالآخرين الكبير منهم والصغير، والقريب والبعيد، والغني والفقير، البر والفاجر، بل إن الدعوة للرفق شملت كل شيء، ففي الحديث الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[١].

وفي رواية (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه)[٢].

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير)[٣].

ومن معاني الرفق أن نعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا ونحسن لمن أساء إلينا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[٤].

والمحاور المسلم هو الذي يدفع بالتي هي أحسن، حرصاً على الوصول إلى الحق، وحرصاً على كسب قلوب الناس ومودتهم، إذ إن الغلظة والفظاظة تؤديان إلى زرع العداوة وبث الكراهية بين المتحاورين.

---

(١) صحيح مسلم / ج٤ / ص٢٠٠٤.

(٢) المصدر السابق / ج٤ / ص٢٠٠٤.

(٣) سنن الترمذي / ج٤ / ص٣٢٣. قال أبو عيسى - رحمه الله - حديث حسن صحيح.

(٤) سورة فصلت / الآية ٣٤.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم)[٢].

ومن صور رفقه عليه الصلاة والسلام بالآخرين، شفقته ورحمته بأهل الطائف -الذين آذوه أشد الأذى- حيث بلغت الشفقة غايتها عندما سنحت له الفرصة بالقضاء عليهم والانتقام منهم، عندما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين جراء أذيتهم لرسول الله ﷺ، فكان رد الرسول عليه الصلاة والسلام الرؤوف الرحيم: (بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً)[٣].

كذلك الشأن مع أهل مكة الذين آذوه بأساليب عدة وناصبوه العداوة والبغضاء وصدوا عن ذكر الله وأخرجوه من مكة وقاموا بالتنكيل بأصحاب رسول الله ﷺ، فعلى الرغم من كل ذلك وغيره، نجده عليه الصلاة والسلام يعفو ويصفح الصفح الجميل، فعندما دانت له مكة واجتمع أهلها ينتظرون حكم الرسول فيهم، قال لهم عليه الصلاة والسلام: (يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم)؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٤].

فكان قلبه عليه الصلاة والسلام يفيض بالرحمة والشفقة، ولقد عبّر عليه الصلاة والسلام عن رحمته بقوله: (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه)[٥]، قال الإمام المناوي -رحمه الله- (أي ذو رحمة أو مبالغ في الرحمة حتى كأني عينها لأن الرحمة ما يترتب عليه النفع ونحوه، وذاته كذلك)[٦].

ومما يدل على أهمية الرفق بالآخرين، أن الله سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون برفق ولين، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[٧].

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير / ج١ / ص٤٢٠.

(٣) صحيح البخاري / ج٢ / ص٩٩٨.

(٤) السيرة النبوية / ابن هشام / ج٤ / ص٣٢. وانظر زاد المعاد / ابن القيم / ج٣ / ص٤٠٧ - ٤٠٨.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه / ج١ / ص٣٥. وقال صحيح على شرطهما.

(٦) فيض القدير / المناوي / ج٢ / ص٥٧٢.

(٧) سورة طه / الآيتان ٤٣ - ٤٤.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين) [١].

ولقد استدل بهذه الآية المأمون عندما وعظه واعظ وعنف له في القول فقال: (يا رجل أرفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق) [٢].

فليكن إقتداء كل محاور بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفق واللين، إذ إن الرفق من أقوى أسباب الألفة.

وإذا كان الرفق مطلوباً في الحوار من أجل كسب قلوب الناس وتألفها فهذا لا يعني المداهنة أو التنازل عن شيء من الدين أو إخفاء بعض الحق أو التغيير والتبديل، فهذه مداهنة وهي محرمة.

قال ابن بطال -رحمه الله- موضحاً الفرق بين المداهنة والمداراة: (المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك) [٣].

لذلك ينبغي على كل محاور الرفق بالآخرين من أجل كسب قلوبهم وتأليفها فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وكلمة طيبة وإلى قلب يفيض بالرحمة... فإن وجدوا ذلك لانت مواقفهم وانقادوا للحق راغبين، وبذلك يتحقق الهدف المنشود من الحوار وهو الوصول إلى الحق.

---

(١) تفسير ابن كثير / ج٣ / ص١٥٣.

(٢) إحياء علوم الدين / الغزالي / ج٢ / ص٣٣٤.

(٣) فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / ج١٠ / ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

المبحث التاسع: العزة والثبات على الحق

المسلم عزيز النفس، لأنه يستمد عزته من العزيز الحكيم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[٢].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعاً)[٣].

ومن ثمرات عزة النفس الثبات على الحق، فالمحاور المسلم لا يتزعزع ولا يحيد عن الحق، بل يثبت ويصر عليه، ولا يعني هذا العناد أو التعصب، فإن ذلك شأن من يصر على الباطل بالرغم من بيان وجه الصواب، أما التمسك بالحق فمن شأن أصحاب المبادئ والقيم الصحيحة، ولا أدل على ذلك من كثرة دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام بالثبات على الحق، فقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر من قوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[٤].

كما أن ثبات المحاور المسلم على الحق يزيد المؤمنين قوة وعزة، ويوقع في نفوس الآخرين الرهبة والخذلان.

والثبات على الحق مظهر بارز للاستقامة والصدق والثقة المطلقة بما يعتقد أنه صواب، أما تقلب المواقف فإنه يدل على الضعف والعجز والتذبذب وعدم الثبات على رأي وهذا ما نهانا عنه رسول الله ﷺ بقوله: (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا)[٥].

ومن أمثلة المواقف التي تدل على عزة النفس والثبات على الحق، ما حدث مع الصحابي «عبدالله بن حذافة السهمي» رضي الله عنه، عندما وقع في الأسر وحاول ملك الروم أن يصده عن دينه،

---

(١) سورة المنافقون / الآية ٨.

(٢) سورة فاطر / الآية ١٠.

(٣) تفسير ابن كثير / ج٣ / ص٥٤٩.

(٤) مسند الإمام أحمد / ج٣ / ص١١٢.

(٥) سنن الترمذي / ج٤ / ص٣٢٠. قال أبو عيسى -رحمه الله- حديث حسن غريب.

فأبى، فقال لك ملك الروم: (هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين، قال: إذاً أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من بدنِهِ، وهو يعرض عليه ويأبى، فأنزله. ودعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى. ثم بكى. فقيل للملك: إنه بكى. فظن أنه قد جزع، فقال: ردوه. ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله.

فقال له الطاغية: هل لك أن تقّبل رأسي وأخلي عنك؟

فقال له عبدالله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبل رأسه.

وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقّبل رأس ابن حذافة وأنا أبدأ فقبل رأسهُ)[1].

ولقد سار على هذا الدرب الإمام الصابر المحتسب أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فعندما تأججت فتنة القول بخلق القرآن في عهد المأمون وتطاير شررها على علماء المسلمين، واكتوى بنارها بعض العلماء، نجد وقوف الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ شامخاً ثابتاً لا يتزعزع بالرغم من العذاب الشديد الذي لقيه في السجن والذي استمر فيه لمدة ثلاثين شهراً.

ومن أقواله رحمه الله وهو في السجن -عندما عرض عليه عمه أن يتراجع عن رأيه كي يطلقوا سراحه- قال: رحمه الله: (يا عم: إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل، فمتى نتبين الحق؟)[2].

وعندما تقدم إليه ابن أبي دؤاد وقال له: (يا أحمد قل في أذني القرآن مخلوق حتى أخلصك من يد الخليفة فقال له الإمام أحمد: يابن أبي دؤاد قل في أذني القرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق حتى أخلصك من عذاب الله عز وجل)[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء / الذهبي / ج٢ / ص١٤. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني / ج٤ / ص٥٦.

(٢) ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل / أبي عبدالله حنبل بن إسحاق / ص٤١.

(٣) المصدر السابق / ص١٣.

كذلك الشأن حدث مع شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فعندما ساوموه كي يتخلى عن بعض آرائه من أجل أن يفكوا أسره من السجن قال لهم: (من أي شيء أخاف؟ إن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وكان ذلك سعادة في حقي يترضى بها علي إلى يوم القيامة، ويلعن الساعي في ذلك إلى يوم القيامة، فإن جميع أمة محمد يعلمون أني أقتل على الحق الذي بعث الله به رسوله، وإن حبست: فوالله إن حبسي لمن أعظم نعم الله علي)[١].

وقال -رحمه الله- (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة)[٢].

هذه نماذج متعددة لمواقف العزة والثبات على الحق، سطّرها أتباع نبينا محمد ﷺ في عصور متعددة لتكون نبراساً لكل محاور كي يثبت على الحق ولا يحيد عنه، مراعياً تطبيق هذا المبدأ بحكمة واتزان ورفق ولين.

المبحث العاشر: البعد عن ضمير المتكلم وعدم الاستطراد

المحاور الناجح هو الذي يتجنب استعمال ضمير المتكلم أثناء حواره، فاستعمال لفظ (أنا) أو (نحن) يترك انطباعاً سيئاً عند الآخرين، فالإنسان بطبعه لا يحب من يتعالم عليه.

كما أن استعمال ضمير المتكلم يوحي بالاستعلاء والغرور والعجب لاسيما إذا تكرر، والمتأمل في حوار إبليس (اللعين) مع الله سبحانه وتعالى بشأن تكريم آدم عليه السلام يلاحظ أن إبليس استخدم ضمير المتكلم (أنا) إعجاباً بنفسه فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[٣].

قال الألوسي -رحمه الله-: (أنا خير منه) هو من الأسلوب الأحمق فإن الجواب المطابق للسؤال منعني كذا وهذا جواب عن أيكما خير؟... فاللعين أول من أسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين[٤].

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام / الندوي / ج٢ / ص١٨.
(٢) الوابل الصيب / ابن قيم الجوزية / ص٩٦.
(٣) سورة الأعراف / الآية ١٢.
(٤) روح المعاني / الألوسي / ج٨ / ص٨٨.

فلفظ أنا -غالباً- ما يرتبط بالعجب والزهو بالنفس وتنسيب كل فضل للذات، ومن اللطائف التي يذكرها علماء التجويد أن ألف (أنا) حيثما وردت في القرآن تسقط عند الوصل بما بعدها حتى لا تكاد تسمع الألف عند التلاوة.

فحري بالمحاور أن يبتعد عن استخدام ضمير المتكلم ويستبدله بصيغ توحي بالتواضع.

ومن بين الأمور التي يجب مراعاتها أثناء الحوار البعد عن الاستطراد من غير فائدة، إذ إن الاستطراد يسبب الملل والسآمة، كما يؤدي إلى تشتيت ذهن السامع. لذلك نجد أن بعض أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم والأئمة الأعلام من التابعين وغيرهم ينهون عن كثرة الكلام من ذلك قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، حيث قال: (من كثر كلامه كثر سقطه)[١].

وقال أبو هريرة ﷺ: (لا خير في فضول الكلام)[٢].

وروي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قيل له: (لو دعوت لنا بدعوات، فقال: اللهم أهدنا وعافنا وارزقنا. فقال له رجل: لو زدتنا يا أبا عبدالرحمن؟ فقال: أعوذ بالله من الإسهاب)[٣].

وقال الحسن ﷺ: (رحم الله عبداً أوجز في كلامه واقتصر على فصاحته فإن الله يكره كثرة الكلام)[٤].

وقال عطاء - رحمه الله - (كانوا يكرهون فضول الكلام... وقال: بترك الفضول تكمل العقول)[٥].

كذلك أوصى العلماء بترك فضول الكلام والحشو لاسيما في آداب المناظرة، من ذلك قول الخطيب البغدادي - رحمه الله -: (ويكون كلامه يسيراً جامعاً بليغاً فإن التحفظ من الزلل مع الإقلال دون الإكثار، وفي الإكثار أيضاً ما يخفي الفائدة ويضيع المقصود ويورث الحاضرين الملل)[٦].

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس / الإمام محمد بن عبدالبر / ج١ / ص٦٠.
(٢) المصدر السابق / ج١ / ص٦٠.
(٣) المصدر السابق / ج١ / ص٦٠.
(٤) المصدر السابق / ج١ / ص٦١.
(٥) المصدر السابق / ج١ / ص٦٠.
(٦) الفقيه والمتفقه / الخطيب البغدادي / ج٢ / ص٢٨.

ومن وصايا الإمام الجويني -رحمه الله- في آداب المناظرة: (ولا تعود نفسك الإسهاب والجدال بالباطل والمبادرة إلى كل ما سبق إليه الخاطر واللسان.... فإن الكلام إذا طال واشتمل على الغث والسمين مجّته الآذان وملّته القلوب)[١]. وقال رحمه الله: (ولا تورد في كل موضع من الكلام إلا قدر ما يحتاج إليه)[٢]. وذكر الشيخ الشنقيطي في آداب المتناظرين التي ينبغي أن يلتزماها قوله: (أن يتحرزا عن إطالة الكلام في غير فائدة وعن اختصاره اختصاراً يخل بفهم المقصود من الكلام)[٣].

ولا يفهم من تجنب حشو الكلام نهج طريق الاختصار الذي يخل بالفهم، فأحياناً يقتضي الحوار التوضيح والإعادة من أجل ترسيخ الفكرة في الأذهان أو من قبيل التأكيد عليها وبيان أهميتها، وهذا النوع من الأسلوب البليغ الذي كان يستخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث كان إذا تكلم بكلمة -كما يقول ابن الجوزي-: (رددها ثلاثاً)[٤].

وقد بوّب الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه في كتاب العلم (باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه وذكر فيها أن النبي ﷺ (كان إذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً)[٥].

وكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب يقصر أحياناً ويطيل أحياناً بحسب حاجة الناس. وكما يقول ابن القيم -رحمه الله- (كان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم)[٦].

وفي الوقت نفسه ما كان عليه الصلاة والسلام يتكلم في غير حاجة، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: (سألت خالي هنداً فقلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ. فقال: كان لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكت، يفتتح الكلم ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير)[٧].

فخير الأمور في الحوار أوسطها، فلا استطراد ممل ولا اختصار مخل بل إعطاء كل ذي حق حقه من الحوار.

---

(١) الكافية في الجدل / ص٥٣٠.
(٢) المصدر السابق / ص٥٣٦.
(٣) آداب البحث والمناظرة / ج٢ / ص٩١.
(٤) الوفا بأحوال المصطفى / ابن الجوزي / ج٢ / ص٤٥٣.
(٥) صحيح البخاري / ج١ / ص ٥٧ - ٥٨.
(٦) زاد المعاد / ابن القيم / ج١ / ص١٨٩.
(٧) الوفا بأحوال المصطفى / ابن الجوزي / ج٢ / ص٤٥٤.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

بعد هذه الدراسة حول أدب الحوار، أجمل ما توصلت إليه من نتائج في النقاط الآتية:

١ ـ ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بأدب الحوار، فالمحاور الناجح يستطيع توصيل فكرته للآخرين بيسر وسهولة، كما يستطيع أن يقرب بين وجهات النظر المتباينة، وبقدر مايكون الداعية متمكناً من الحوار وملماً بجوانبه وآدابه وأساليبه وقواعده بقدر مايحقق من نجاح في دعوته.

٢ ـ اهتم القرآن الكريم اهتماما كبيراً بالحوار، والمتأمل في هذا الحوار يلاحظ أنه يتسم بأمور عدة، من أبرزها:

أ ـ تقديم الأدلة والبراهين من أجل إقناع الطرف الآخر.

ب ـ مطالبة الطرف الآخر بتقديم الأدلة والبراهين لإثبات صحة دعواه.

جـ ـ البعد عن المماراة والمشاحنة والتعصب.

د ـ إنصاف الخصم واحترام الطرف الآخر وإعلان المساواة للخصم أثناء الحوار.

هـ ـ تحديد الهدف والغاية من الحوار والتدرج في الوصول إلى ذلك.

و ـ مراعاة أحوال المخاطبين.

٣ ـ اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بالحوار، ومن أبرز سمات حواره عليه الصلاة والسلام ما يأتي:

أ ـ الرفق واللين والإنصاف وعدم مقابلة الإساءة بمثلها.

ب ـ الحلم والصبر فما كان يزيد جهل الناس عليه إلا حلماً.

جـ ـ حسن الاستماع وعدم المقاطعة.

د ـ الشفقة والرحمة بمن يحاوره.

٤ـ الإقرار بوجود اختلاف بين الناس، والاختلاف في وجهات النظر -لاسيما في المسائل الفرعية في الشريعة الإسلامية- لا ينبغي أن يؤدي إلى شقاق ونزاع بل هو خلاف رحمه وكرامة للعلماء.

٥ ـ مخالفة أهل الباطل والبدع واجبة شرعاً، وهذا لا يمنع محاورتهم ودعوتهم للحق وكشف باطلهم.

٦ـ الحوار يختلف باختلاف الأشخاص والمحاور الناجح هو الذي يخاطب الناس على قدر عقولهم.

٧ ـ تحرير محل الاتفاق ومحل النزاع يمنع من تشعب الحوار ويختصر الوقت ويحدد نوع القضايا المختلف عليها.

٨ ـ التفريق بين الأمور القطعية والأمور الظنية وبين الرأي وصاحب الرأي وبين ناقل الرأي ومتبنيه من فقه الموازنات في أدب الحوار، كما أن إعطاء كل أمر حقه من النقاش يعد من علامات الاتزان وكمال العقل.

٩ ـ اختيار أفضل الظروف للحوار من الآداب التي ينبغي للمحاور مراعاتها سواء تعلق ذلك بالجانب النفسي أو العلمي أو الاجتماعي مع مراعاة الزمان والمكان والمستوى الثقافي للمستمعين.

١٠ ـ البدء بالنقاط المتفق عليها ثم التدرج نحو القضايا المختلف عليها من مستلزمات الحوار الناجح.

١١ ـ إتقان فن الاستماع وإعطاء كل قضية حقها من النقاش دون استطراد ممل أو اختصار مخل من مقومات الحوار الناجح.

١٢ ـ حسن الظن بالآخرين والوقوف على ظاهر النصوص دون اتهام النيات، وإفساح المجال للمقابل، والتشبث بالمصطلحات الشرعية من مقومات المحاور الحكيم المتزن.

١٣ ـ ترتيب الأفكار وفصاحة اللسان وقوة البيان وحسن العرض تؤدي إلى نجاح الحوار وتوصيل الفكرة للآخرين بيسر وسهولة.

١٤ ـ التجرد في طلب الحق من الصفات التي ينبغي على المحاور مراعاتها والتحلي بها وهذا يستدعى الأمور الآتية:

أ ـ البعد عن التعصب والتسليم بالخطأ.

ب ـ الرجوع للحق عند ظهوره.

جـ ـ البعد عن التهويل والمبالغات.

د ـ البعد عن التحدي والإفحام.

١٥ ـ التحلي بضبط النفس والبعد عن الانفعال والغض من الصوت وعدم مواجهة الباطل بمثله والرفق بالمقابل والحرص على كسب القلوب والحلم والصبر مع العزة والثبات على الحق من الصفات الأساسية والقواعد المهمة في أدب الحوار التي ينبغي أن يتحلى بها كل محاور.

١٦ ـ استعمال ضمير المتكلم يترك انطباعاً سلبياً عند الآخرين، فحري بالمحاور أن يتجنب ذلك.

وأخيراً أسأل الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع ولا أدعي الكمال، بل أقر وأعترف بالنقص والقصور، ومايطيّب نفسي أنني بذلت ما في وسعي، فما أصبت فذلك فضل من الله يمنّ به على من يشاء من عباده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والغفران وأن يجعل ما قدمت في موازين حسناتي يوم القيامة، إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبدالله بن سليمان المشوخى

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثبت المراجع

١ ـ إحياء علوم الدين / الإمام أبو حامد محمد الغزالي/ دار المعرفة / بيروت.

٢ ـ آداب البحث والمناظرة / الشيخ محمد الأمين الشنقيطي / مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٣ ـ أدب الاختلاف في الإسلام / د. طه جابر العلواني / رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية / قطر / ط١.

٤ ـ أسلوب المحاورة في القرآن الكريم / د. عبدالحليم حفني / الهيئة المصرية العامة للمكتبات / ط٢ / ١٩٨٥م.

٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان.

٦ ـ أصول الدعوة / د. عبدالكريم زيدان / مؤسسة الرسالة ـ دار الوفاء / ط٣ / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٧ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين / ابن قيم الجوزية / دار الجيل / بيروت / ١٩٧٣م.

٨ ـ البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن كثير / مكتبة المعارف / بيروت / ط٤ / ١٤٠٢هـ.

٩ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس / الإمام أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي/ دار الكتب العلمية / بيروت.

١٠ ــ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / ابن جماعة الكناني / دار الكتب العلمية / بيروت.

١١ ــ تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن كثير / دار المعرفة / بيروت / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٢ ــ التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) الفخر الرازي / دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت / ط٣ / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير / الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ط٣ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٤ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبدالرحمن السعدي / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد / الرياض ـ المملكة العربية السعودية / ١٤٠٤هـ.

١٥ ــ جامع بيان العلم وفضله / ابن عبدالبر النمري القرطبي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٦ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / دار المعارف بمصر / ط٢.

١٧ ــ الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبدالله محمد القرطبي / دار الكتاب العربي / بيروت.

١٨ ـ الحوار مع أهل الكتاب / خالد القاسم / دار المسلم للنشر والتوزيع / الرياض / ط١ / ١٤١٤هـ.

١٩ ــ درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية / تحقيق د. محمد رشاد سالم / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض / ط١ / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.

٢٠ ــ ديوان الإمام الشافعي / لأبي عبدالله محمد إدريس الشافعي / دار الحكمة / دمشق.

٢١ ــ ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل / جمع أبي عبدالله حنبل بن إسحاق بن حنبل دراسة وتحقيق د. محمد نغش / مطبعة سعدى وشندى / القاهرة / ط٢ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام / أبو الحسن علي الحسيني الندوي / دار القلم / الكويت / ط٤ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام / شيخ الإسلام ابن تيمية / تحقيق زهير الشاويش / المكتب الإسلامي / ط٢ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى / الألوسي / دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٢٥ ــ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة / عبدالرحمن السعدي / مكتبة المعارف / الرياض / ط٣ / ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد / لابن قيم الجوزية / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط١٠ / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٧ ـ سنن ابن ماجة / الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني / دار إحياء التراث العربي / ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٨ ــ سنن أبي داود / الحافظ سليمان بن الأشعث / دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٢٩ ـ سنن الترمذي / الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة / دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٠ ــ سنن الدارمي / الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي / حديث أكاديمي / باكستان / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣١ ـ سير أعلام النبلاء / الإمام الحافظ محمد بن أحمد الذهبي / مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط١ / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٢ ـ سيرة النبي ﷺ / ابن هشام / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٣ ـ صحيح البخاري / الإمام محمد بن إسماعيل البخاري / المكتبة العصرية / لبنان / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٤ ـ صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج القشيري / رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد / الرياض / ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي / الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي / دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٣٦ ـ طلب العلم وطبقات المتعلمين (أدب الطالب ومنتهى الأرب) / الإمام محمد بن علي الشوكاني / دار الكتب العلمية / بيروت / ط١ / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٧ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري / الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / المطبعة السلفية / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٨ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / الإمام محمد بن علي الشوكاني / دار الفكر / ١٤٠١هـ.

٣٩ ـ فقه التعامل مع المخالف / د. عبدالله الطريقي / دار الوطن للنشر / الرياض / ط١ / ١٤١٥هـ.

٤٠ ـ في أصول الحوار / إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي / ط٣ / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤١ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير / عبدالرؤوف المناوي / دار الفكر / ط٢ / ١٣٩١هـ.

٤٢ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق / ط٣ / ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٤٣ ـ القاموس المحيط / الفيروز آبادي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط٣ / ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٤ ـ القرآن محاولة لفهم عصري / مصطفى محمود / دار المعارف / مصر.

٤٥ ـ القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل / دار المعارف / مصر / ١٩٥٩ / ط١.

٤٦ ـ الكافية في الجدل / إمام الحرمين الجويني / مكتبة الكليات الأزهرية / مصر / ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤٧ ـ كتاب التعريفات / علي بن محمد الجرجاني / دار الكتب العلمية / بيروت / ط١/ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٨ ـ كتاب الجدل على طريقة الفقهاء. علي بن عقيل البغدادي / مكتبة الثقافة الدينية/ مصر.

٤٩ ـ كتاب الحيدة / الإمام عبدالعزيز بن يحيى الكناني المكي / مطابع الشرق الأوسط/ الرياض.

٥٠ ـ كتاب الفقيه والمتفقه / أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية / بيروت / ط٢ / ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥١ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبي القاسم جارالله محمود الزمخشري / دار المعرفة / بيروت.

٥٢ ـ الكليات / معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي / منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي / دمشق / ١٩٨٢م.

٥٣ ـ لسان العرب المحيط / ابن منظور / دار لسان العرب / بيروت.

٥٤ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٥٥ ـ المحيط في اللغة / الصاحب إسماعيل بن عباد / عالم الكتب / بيروت / ط١ / ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٦ ـ المستدرك على الصحيحين في الحديث / أبو عبدالله المعروف بالحاكم وفي ذيله تلخيص المستدرك لشمس الدين أبي عبدالله محمد الذهبي / دار الكتب العلمية.

٥٧ ـ المستصفى من علم الأصول / الإمام أبو حامد الغزالي / مطبعة بولاق / مصر / ط١ / ١٣٢٤هـ.

٥٨ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل / دار الفكر / المكتب الإسلامي للطباعة والنشر / بيروت.

٥٩ ـ المغني / ابن قدامة المقدسي / مكتبة القاهرة / ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٦٠ ـ مناقب الإمام الشافعي / الإمام فخر الدين الرازي / تحقيق: د. السقا / مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة / ط١ / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦١ ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب / ابن الجوزي / دار الكتب العلمية / بيروت.

٦٢ ـ مناهج الجدل في القرآن الكريم / د. زاهر الألمعي /مطابع الفرزدق التجارية / الرياض/ ط٣ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٣ ـ موطأ الإمام مالك / رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية / الرياض / ط٧ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٤ ـ موقف الأمة من اختلاف الأئمة / عطية محمد سالم / مكتبة دار التراث / المدينة المنورة/ ط٢ / ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / المكتبة العلمية / بيروت.

٦٦ ـ الوابل الصيب ورفع الكلم الطيب / ابن قيم الجوزية / مكتبة دار البيان / دمشق.

٦٧ ـ الوجيز في أصول الفقه / د. عبدالكريم زيدان / مكتبة القدس / مؤسسة الرسالة/ بيروت / ١٩٨٧م.

٦٨ ـ الوفا بأحوال المصطفى / ابن الجوزي / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / ط١ / ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

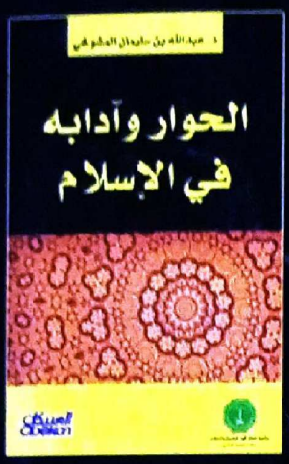

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فما أجمل أن نمتثل لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وحتى نصل لمدلول هذه الآية الكريمة كان لزاماً علينا أن نتقن فن الحوار والتخلق بآدابه والتمسك بأصوله وقواعده.

فالمحاور الناجح يستطيع كسب قلوب الناس والتقريب بين وجهات النظر المتباينة، وتخفيف وطأة الخلاف، وتبليغ دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الحوار الناجح مدعاة لكسب القلوب، وكم من قضية فاشلة نجحت بسبب حسن الحوار، وكم من قضية ناجحة فشلت بسبب سوء الحوار، فإذا أردنا أن ننجح في حياتنا ونسعد فعلينا أن نتعلم ونتقن فن الحوار.

وهذا الكتاب يسلط الضوء على فن الحوار، وأصوله، وقواعده، وآدابه من خلال التأصيل الشرعي لهذا الموضوع.

المؤلف

ISBN:978-9960-54-587-5
9789960545875

موضوع الكتاب: ١- الدعوة الإسلامية
٢- الجدل

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com